في التنوير الإسلامي

«٧٤»

إسلامية المعرفة

ماذا تعني...؟

تأليف

د. محمد عمارة

في التنوير الإسلامي ٧٤

إسلامية المعرفة

ماذا تعني ... ؟

تأليف
د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: إسلامية المعرفة ماذا تعني؟

المؤلف: د. محمد عمارة

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

تاريخ النشر: الطبعة الأولى يناير 2007م

رقم الإيداع: 2006 / 22719

الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3783-6

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434 (02) - 3472864 (02) فاكس: 3462578 (02) ص.ب 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 30 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) فاكس: 5903393 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب/CD)
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع www.enahda.com

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

(١)
شعار جديد .. لمضمون قديم

«إسلامية المعرفة»..

هذا شعار جديد عرفته حياتنا الفكرية والثقافية منذ سنوات.. وكأى شعار جديد فلقد قوبل بردود فعل متباينة ومتفاوتة، تراوحت ما بين التأييد.. والحذر.. والحماس، غير الواعى، له.. أو ضده!

وإذا كان هذا الشعار جديداً، وإذا كانت جدته قد كانت سبباً فى الكثير من علامات الاستفهام التى قامت من حوله.. فإن من الضرورى - جلاءً لحقيقته - أن نبدأ هذا التمهيد بالإشارة إلى حقيقتين:

الأولى: أن جدة هذا الشعار - «إسلامية المعرفة» - لا تعنى جدة المضمون الذى يعبر عنه، ولا جدة القضية التى يطرحها. فإسلامية المعرفة - كما سيقيم الدليل عليها هذا التمهيد - هى مهمة فكرية، ورسالة ثقافية عرفتها حضارتنا منذ ظهور الإسلام.. وأول كتاب عرض لهذه القضية - فى تاريخنا الحضارى - هو القرآن الكريم: فشعار «إسلامية المعرفة» يوحى بالموقف القائل بقيام علاقة ما بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية. وهذه هى المهمة الفكرية والرسالة الثقافية التى عرفتها حضارتنا الإسلامية منذ ميلادها وتبلورها، والتى قدمتها بديلاً إسلامياً فى المعرفة للنموذج المادى فى المعرفة الذى كان معروفاً وسائداً فى حضارات أخرى، غير الحضارة الإسلامية، قبل وعند ظهور الإسلام..

ولذلك، فإننا نأمل أن تكون الإشارات التي يقدمها هذا الكتاب لتاريخ مضمون هذا الشعار «علاقة الإسلام بالمعارف الإنسانية» في تاريخنا الحضاري والفكري والثقافي - شاهدًا على أن جدة الشعار لا تعني أن مضمونه «بدعة فكرية»؛ لأنه في حقيقته مُسلَّمة من المسلمات الفكرية الراسخة في علوم حضارة الإسلام..

والثانية، من الحقائق، التي نشير إليها الآن، هي أن جدة هذا الشعار قد أثارت - وهذا طبيعي أحيانًا - ردود أفعال متباينة تجاهه:

● فهناك - غير الذين ينكرونه ويستنكرونه؛ لأنهم ينكرون ويستنكرون - بوعي - أن تكون للإسلام علاقة - أية علاقة - بأي من معارف وعلوم المدنية والحضارة والحياة - هناك - غير هؤلاء - الذين نفهم موقفهم ولابد أن نحاورهم - هناك الذين ينكرونه لجهلهم بحقيقة مراميه ومقاصده.. وهناك الذين يظلمون هذا الشعار - «إسلامية المعرفة» - عندما يرفعونه، ويستخدمونه، مع جهلهم بحقيقة ما يعنيه! فيسيئون إليه أشد من إساءة العقلاء من أعدائه؛ لأنهم يقدمون «الحجج» السلبية التي يستفيد منها هؤلاء الأعداء؟!

في مواجهة هذا الشعار الذي يطرح قضية: قيام علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية. وطبيعة ومدى هذه العلاقة؛ هناك مواقف، وردود أفعال:

● فمن الناس من يظن أن «إسلامية المعرفة» هي «كهانة - كنسية» جديدة، في دوائر المعرفة.. تريد أن تجعل من علوم ومعارف الحياة، المدنية والحضارية، «دينًا خالصًا» فتقدسها قدسية الدين، وتثبتها ثبات الدين - فهي حجر جديد على الاجتهاد في علوم الحياة، وتجميد لها وجمود يحول بينها وبين التطور

والتغيير.. وبهذا الفهم للقضية، نراهم يناصبونها العداء؛ مخافة أن تعيد، من جديد، السيرة الأولى للكنيسة الأوربية مع العلم والعلماء!

● ومن الناس من يحسب أن إسلامية المعرفة إنما تعنى فصالاً تامًّا وكاملاً مع العلوم والمعارف الإنسانية - الاجتماعية منها والطبيعية - التى أبدعها العقل الإنسانى فى الحضارات غير الإسلامية.. فهذه معرفة إسلامية.. وتلك كافرة.. والفصال كامل والخصام تام بين الكفر والإسلام! فهم يخشون أن يفضى أمر إسلامية المعرفة بنا إلى قطيعة مع ثمرات العقل غير المسلم فى المعارف والعلوم، فنزداد عزلة ونوغل فى الانغلاق اللذين يقضيان بنا إلى الذبول والانقراض!

● ومن الناس من توهم أن إسلامية المعرفة لا تعنى ولا تكلف ولا تقتضى أكثر من إضافة بعض من آيات القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة إلى مناهج وحقائق وقوانين العلوم التى أبدعتها مدارس الفكر الغربى - الإنسانية منها والطبيعية - فكما نستعين باكتشافات العلم الغربى على اكتشاف الإعجاز العلمى فى آيات القرآن الكريم، نستطيع أن نستعين بآيات القرآن الكريم؛ لإضفاء «الإسلامية» على هذا العلم الغربى.. وكفى الله عقولهم «شر» الاجتهاد والإبداع!

● لكن هناك - غير هؤلاء جميعًا - من يتحفظون على جميع هذه المواقف والرؤى.. ويرون أن إسلامية المعرفة، وإن تكن شعارًا جديدًا، إلا أنه يعبر، فى رأيهم، عن رسالة فكرية جليلة ومهمة ثقافية ثقيلة الحمل؛ تمثل واحدة من السمات الثوابت والقسمات الأصيلة فى حضارتنا الإسلامية منذ ظهر الإسلام..

وللبرهنة على ذلك، كان لابد من ضبط وتفسير المصطلح والشعار – إسلامية المعرفة – لتبيان المقاصد، وتبديد الغموض.. ليؤيد من يؤيد عن بيِّنة.. ويعارض من يعارض عن بيِّنة.. ويقلع الذين يمتهنون القضية عن هذا الذى يفعلون!

ولابد كذلك من وضع القضية فى مكانها وإطارها الطبيعى والصحيح كبديل إسلامى، ومذهب إسلامى فى المعرفة، يقابل ويخالف المذاهب المادية والوضعية والحسية فى المعرفة.. وإقامة الدليل على أن هذا هو مكان وخطر هذه القضية.. كانت البديل الإسلامى فى المعرفة الذى واجه به القرآن الكريم مذاهب الشرك فى المعرفة المادية.. وكانت البديل الإسلامى فى المعرفة الذى واجه به فكرنا الإسلامى المبكر مذاهب الديانات الوضعية فى المعرفة «الحسية – التجريبية»، عندما رأتها هذه المذاهب مصدرًا وحيدًا لمعارف الإنسان.. فكانت هى – إسلامية المعرفة – «مقالة الإسلاميين» – فى المعرفة الإنسانية – التى واجهوا بها «مقالات غير الإسلاميين» فى هذا الميدان!

كانت كذلك، فى النشأة، وفى التطور.. كما هى الآن، عندما يطرحها هذا الشعار الجديد – إسلامية المعرفة – ليواجه بها مذاهب الحضارة الغربية فى المعرفة.. المادية منها والوضعية.. والتجريبية.. والوضعية المنطقية.. والسلوكية.. وغيرها من المذاهب التى تشترك فى نفى العلاقة بين «كتاب الوحى» – الدين – وبين «كتاب الوجود» – المُدْرَك بحواس الإنسان..

وتلك هى المهمة التى تطمح لبلوغها صفحات هذا الكتاب إن شاء الله.

(٢)
التعريف .. والضبط للمصطلحات

والآن...

ماذا يعنى هذا المصطلح – الشعار – «إسلامية المعرفة»؟

● إن «الإسلامية» هى النسبة إلى الإسلام.. وإذا كان الإسلام – لغة – هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ من البلاغ الإلهى المتمثل فى القرآن الكريم، ومن البيان النبوى، المتمثل فى السنّة النبوية الصحيحة – فإن الإسلام – فى الاصطلاح – هو الدين الذى وضعه الله سبحانه وتعالى لعباده ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[١]. فهو: وضع إلهى، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ من البلاغ الإلهى، والبيان النبوى..

فالإسلام – فى الاصطلاح – هو: الوضع الإلهى.. وفى اللغة.. هو الانقياد لهذا الوضع الإلهى: أى الانقياد لله، ولما جاء من الشرائع والأحكام التى تلقيناها عن رسول الله[٢].

«فالإسلامية» هى النسبة إلى هذا الدين الذى وضعه الله: أى إقامة العلاقة مع الوحى وتبأ السماء.

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) انظر: الجرجانى [التعريفات] – طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م. و[معجم ألفاظ القرآن الكريم] – وضع مجمع اللغة العربية – القاهرة – طبعة ١٩٧٠ م

● أما «المعرفة» فإنها: خلاف الإنكار.. وإدراك الأشياء وتصورها.. فهي: العلم الكسبي الخاص بالبسيط والجزئي والذي فيه إدراك وتصور - وتلك صفات وجهود بشرية إنسانية.

وعندما يراد بـ«العلم»: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.. أو: إدراك الشيء على ما هو به.. أو: حصول صورة الشيء في العقل.. فإنه - وفق هذه التعريفات - يكون مرادفًا للمعرفة: لاشتراكه معها في كونه كسبيًا، معتمدًا على الإدراك والتصور.. وخاصًا بالبسيط وبالجزئيات.

أما عندما يكون العلم: صفة للإحاطة بالكليات والجزئيات جميعًا، على نحو يكون فيه العلم علّة وسببًا للموجود والمعلوم - وليس معلولاً لهما - وغير متوقف على الإدراك والتصور - وأمثالهما من الخصائص البشرية الإنسانية - فذلك هو العلم الإلهي.. المفارق للمعرفة؛ لأن علم الإنسان ومعرفته معلولة ومسببة عن الموجود، وليست سببًا وعلّة لوجود هذا الموجود..

فالعلم: منه الكسبي - المرادف للمعرفة - ومنه غير الكسبي - وهو العلم الإلهي.. ولا يسمى معرفة؛ لأن المعرفة كسب، بالإدراك والتصور، في نطاق البسيط الجزئي.. وليس هكذا علم الله، غير الكسبي، والمحيط بالكليات والجزئيات..

فكل «معرفة» هي «علم».. وليس كل «علم» هو بالضرورة «معرفة».. والله - سبحانه وتعالى - عالم.. ولا يوصف بالعارف.. أما الإنسان فإنه عالم وعارف بهذا المعنى الذي حددناه..

وفيما هو بسيط. يقال: علمته، وعرفته.. ولا يقال علمته فيما لا يحاط به، لخروجه عن البسيط؛ ولذلك يقال: عرفت الله.. ولا يقال علمته؛ لأن المعرفة تقال فيما يُدْرك بآثاره، ولا تُدْرك ذاته..

ولارتباط المعرفة بالكسب وبالواسطة - أدوات الإدراك والتصور - كانت خاصية إنسانية.. ويشهد على هذا قول رسول الله ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»[1]. وإن المعرفة فعل القلب: لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2].

وكما لا يقال: الله عارف، كذلك لا يقال في حقه، سبحانه: عاقل.. كما لا تطلق صفة الدراية عليه أيضًا[3].

أي أن بين «المعرفة» و«العلم» خصوصًا وعمومًا..

فالمعرفة إنسانية؛ لأنها كسبية، وبالوسائط، وخاصة بالبسيط والجزئي، وما يُدْرك بآثاره، ولا يُدْرك كنه ذاته.. وتلك من سمات وخصائص وحدود الإنسان.. أما العلم فإنه أعم من المعرفة؛ إذ فيه الكسبي، الواقف عند البسيط، والجزئي - وهذا هو العلم الإنساني - الذي هو معرفة إنسانية.. وفيه كذلك العلم غير الكسبي، علم ما هو مركب، العلم المحيط والكلي، والمسبِّب للموجودات، وليس المنعكس عنها.. وهذا هو علم الله، سبحانه وتعالى..

(١) رواه البخاري - ولو سأل سائل: لم قال الرسول: «أعلمكم» ولم يقل: أعرفكم؟ فالجواب: أن مصدر المعرفة النبوية هنا هو الوحي لا الكسب، فهي علم.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٥.

(٣) انظر في هذه المعاني [معجم ألفاظ القرآن الكريم] و[التعريفات] - للجرجاني - و[المعجم الفلسفي] - وضع: د. مراد وهبة، ويوسف كرام، ويوسف شلالة - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.

وبذلك فإن الوحي رغم بلوغه لنا عن طريق الرسول ﷺ هو علم لا «معرفة» لأنه تنزيل الله، وبلاغ الرسول ولا كسب فيه من الرسول ولا اكتساب أما فهمنا له فهو علمنا به ومعرفتنا له بالكسب والاكتساب فالعلوم الشرعية فيها «علم إلهي» هو البلاغ القرآني وبيانه النبوي وفيها «معرفة إنسانية» هي اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في البلاغ القرآني والبيان النبوي

هذا عن الضبط والتعريف والتفسير لمصطلحات شعار شعار «إسلامية المعرفة» فمعناه أن العلاقة بين الإسلام وبين المعرفة أي الصلة بين كتاب الوحي القرآن الكريم وبيانه النبوي وبين كتاب الوجود ومعارف الإنسان في علوم الوجود الإنسانية منها والطبيعية

فهي إسلامية المعرفة إذن المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية والرافض لجعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية

هي المذهب الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنين «الوحي» وعلومه و«الكون» وعلومه وليس على ساق واحدة هي «الوجود»

وبذلك كان تميز هذا المذهب في المعرفة أيضا باعتماد كل أدوات وسبل المعرفة المناسبة لإدراك حقائق ومعارف كل من

المصدرين وليس فقط اعتماد الحواس وتجاربها لأنها لن تهتم بمهام الإدراك لحقائق «الوجود» و«عالم الشهادة» فلن تفي بإدراك حقائق وتصورات «كتاب الوحي» و«عالم الغيب».

وإذا كانت المعارف والعلوم منها ما هو «إلهي» شرعي ومنها ما هو «بشري» ومدني وحضاري ودنيوي فإن هذا التقسيم لا يعني الفصل التام بين الإلهي الشرعي وبين البشري - المدني، وإنما يعني «التمييز» فقط بين العلوم والمعارف التي «موضوعها الوحي» القرآن وبيانه السنة فهي إسلامية الموضوع والمصدر والمنطلقات والمقاصد والغايات وفيها من «المدني» اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في فهم الوحي وبيانه وبذلهم الوسع واستفراغهم الجهد في استنباط الجزئيات من الكليات وفي تقعيد ذلك علوم لها هندسة العلوم

«التمييز» وليس «الفصل» التام بين هذه العلوم «الشرعية» وبين العلوم «المدنية البشرية الحضارية الإنسانية منها والطبيعية» والتي موضوعها الكون مادته وظواهره وطاقاته و«النفس الإنسانية» في ذاتها واجتماعها وعلاقاتها فموضوعات هذه العلوم المدنية ومنطلقاتها ليست «الوحي والدين» وإنما هي «الكون والإنسان والاجتماع الإنساني»

وإذا كانت العلوم والمعارف «الإلهية» «الشرعية» هي إسلامية الموضوع والكليات والمنطلقات وفيها من «المدني»

اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في الفروع والجزئيات وفي التقعيد فإن علوم «الكون» ومعارفه «بشرية» مدنية الموضوع والكليات والمنطلقات وإسلاميتها إنما تعني إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون والإنسان والاجتماع وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف عن طريق أسلمة فلسفتها بتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي «حكمة» لخلق الله سبحانه وتعالى الكون والإنسان

فعلاقة كتاب الوحي «الإسلام» بالمعارف قائمة أو يجب أن تقوم في كل أنواع المعارف والعلوم لكن المدى المحقق «للإسلامية» في هذه المعارف والعلوم يتفاوت «كمًّا» و«كيفًا» في «الإلهي - الشرعي» منها عن «البشري - المدني» كما يتفاوت في «الإنساني - الاجتماعي» منها عن «الطبيعي»

هذا عن التعريف والضبط لمصطلحات هذا الشعار

(٣)
أمثلة .. وتطبيقات

وإذا كان هذا هو معنى المصطلح والشعار «إسلامية المعرفة» أي إقامة العلاقة بين «الإلهي» و«الإنساني» في العلوم والمعارف والعلاقة المناسبة التي تقيم المعرفة الإنسانية على الساقين «الإلهي» و«الكوني» فتحفظ بها وعليها التوازن الحق وتعصمها من «الثنائية والانشطار» وذلك دون أن يصبح «الإنساني» «إلهيا» له قدسية الإلهي وثباته ودون أن يصبح «الإلهي» «إنسانيا» كما هو الحال عند الذين جعلوا الدين وضعا بشريا وإقرار العقل الإنسان وثمرة من ثمرات الاجتماع الإنساني إذا كان هذا هو المعنى المراد من المصطلح والشعار فإن قضيتنا الأساسية - قضية إسلامية المعرفة - هي خاصة بهذه العلوم والمعارف «البشرية المدنية» فهي التي من الممكن أن تكون «إسلامية» إذا قامت العلاقة بينها وبين «كتاب الوحي» ومن الممكن أن تكون «لا إسلامية» إذا وقفت بمعارفها عند «كتاب الوجود» والأدوات الحسية للإدراك..

وإسلامية هذه المعارف معناها أن يصدر إدراكنا وتصورنا ومعرفتنا لموضوعاتها حال استحضارنا السنن والقوانين والضوابط والمقاصد الشرعية المتعلقة بها والتي جاءت «في كتاب الوحي» وفي بيانه النبوي أي اكتشاف علاقة «كتاب الوجود»

بـ«كتاب الوحي» أثناء دراسة وتطبيقات هذه العلوم البشرية المدنية الحضارية.

ولعل هذا الكتاب عندما يركز على معنى إسلامية المعارف الإنسانية، أن يقيم الدليل ولو بشكل سريع وغير مباشر على «إلهية» العلم الديني الذي رغمت مذاهب المعرفة المادية والوضعية بشريته! ولحسن الحظ فليست هذه بالقضية المثارة وذات الأبصار في واقعنا الفكري وإنما القضية المثارة التي تستحق التركيز عليها هي إسلامية أو لا إسلامية معارف وعلوم الإنسان.

وإذا كان الأمر كذلك فلعل أمثلة نضربها على ما تعنيه إسلامية المعرفة في بعض قضايا هذه العلوم والمعارف البشرية - الاجتماعية منها والطبيعية - لعل أمثلة نضربها على ما تعنيه هذه العلاقة، بمحققة للإسلامية أن تكون مفيدة بل وضرورية، عند هذا الحد من هذا الكتاب.

● فنحن مثلا إذا درسنا علم الاقتصاد باعتباره العلم الذي يبحث في مشاكل التوفيق بين الموارد المحدودة وحاجات الإنسان غير المحدودة والمتفاوتة في الأهمية أي علم تدبير الحلول لمشكلة الإنسان الاقتصادية التي تتعدد فيها غاياته وتختلف أهمية كل منها ونقل وسائل الوصول إليها مع مكانية استعمالها في أغراض متضاربة[1]

---

١ انظر في هذا التعريف [معجم العلوم الاجتماعية] وضع «اليونسكو» طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

إذا نحن درسنا علم الاقتصاد بهذا الاعتبار وفقط كانت المعرفة الاقتصادية المستخلصة من هذه الدراسة متحررة من «الإسلامية».

أما إذا نحن درسنا الاقتصاد باعتباره علم تدبير إشباع وكفاية الاحتياجات في ضوء الموارد وعلى ضوء وفي إطار السنن الإلهية والضوابط الشرعية والمبادئ والكليات الإسلامية من مثل فلسفة الإسلام في الملكية، إنه هو المالك الحقيقي مالك الرقبة في الثروات والموارد والأموال ونظرية الاستخلاف والخلافة الإنسانية عن الله، استخلاف الإنسان من حيث هو إنسان مستخلف عن الله في الموارد والثروات والأموال له فيها ملكية مجازية، ملكية الانتفاع المحكومة في الحيازة وفي الاستثمار وفي الإنفاق، المقاصد الشرعية التي هي بنود عقد وعهد التوكيل والاستخلاف.

إذا نحن درسنا الاقتصاد في ضوء هذا «الإطار الإلهي» نكون قد قمنا عليه على ساقين واستقينا معارفه من مصدرين «كتاب الوجود» الموارد والاحتياجات و«كتاب الوحي» الفلسفة الإسلامية في الأموال وهنا سنحقق «الإسلامية» لـ«المعرفة» الاقتصادية على النحو الذي يميزها عن نظيرتها في الفلسفات والمناهج المادية والوضعية.

وإن جاز لنبي الله شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين والجوار الذي دار بينهما والذي حكاه القرآن الكريم حول المفاهيم الاقتصادية وضوابطها الدينية، وحول

التطبيقات والمعاملات الاقتصادية، المضبوطة بالضوابط الدينية أو المتحررة من هذه الضوابط. إن هذا الحوار لهو نموذج لهذا الذي نقول.

فشعيب - عليه السلام - كان يرى أن التوحيد والإيمان والصلاة والعبادة - أي الدين - تقتضي ضوابط للسلوك الإنساني في الاقتصاد والمعاملات المالية - توفية المكاييل والموازين بالقسط العدل والامتناع عن بخس الناس أشياءهم في البيع والشراء والحذر من الإفساد في الأرض - إلخ. فدعا قومه إلى إقامة العلاقة بين «الدين» وبين «الاقتصاد» في الفكر والتطبيقات.

أما قومه، الذين عصوه، فإنهم كانوا يرفضون الربط والعلاقة بين الدين وبين «المعاملات المالية والاقتصادية»، فهو يريد اقتصاداً مضبوطاً بضوابط الدين، قائماً على معارف «الوحي» و«الواقع» كليهما، بينما هم يريدون الفصل ما بين الدين والاقتصاد.

هو يريد «سلامة الاقتصاد» - فالدين عند الله الإسلام - في جميع الرسالات وعند كل المرسلين - وهم يريدون تحرير الاقتصاد من العلاقة بالإسلام.

والقرآن الكريم يحكي هذا الحوار المحدد لهذه القضية، والذي بدأه نبي الله شعيب - عليه السلام - مخاطباً قومه، فقال:

﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) ويا قوم أوفوا

المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ٨٥ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾[1]

لكن قومه أجابوه مستنكرين دعوته الإسلامية الاقتصادية وضبط المعاملات المالية بضوابط الدين، وقد فعلوا عن مذهب تحرير الاقتصاد من العلاقة بالدين، فقالوا: ﴿يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾[2]

لقد عجبوا من ربط دعوته بين التوحيد للمعبود، وضبط التصرفات المالية بضوابط الدين ودعوة التوحيد.

فرد عليهم شعيب، معلماً إياهم أن الدين دين البنية الإلهية يقتضي ضبط الأموال التي هي رزق الله بضوابط الإصلاح الديني، وذاكراً لهم أنه يريد لهم الالتزام بما يلتزم هو به، حتى لا يحل عليهم غضب الله، الذي حل بالأقوام السابقين الذين عصوا نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً عليهم السلام، فقال:

﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ٨٨ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾[3]

---

(١) سورة هود: ٨٤ - ٨٦

(٢) سورة هود: ٨٧

(٣) سورة هود: ٨٨، ٨٩

على هذا النحو حكى القرآن الكريم ذلك الحوار الذي دار بين شعيب وبين قومه، حول علاقة «كتاب الوحي بواقع الاقتصاد»!

فإذا حسب الإنسان نفسه سيد هذا الكون وأعتقد الإطلاق والإباحة الكاملة لحريته في التصرفات المالية والتدابير الاقتصادية فلن يراعى في طريق الكسب والاستثمار والإنفاق إلا منفعته وبدنه ومصلحته وفق معاييره الإنسانية البحتة في «المنفعة» و«اللذة» و«المصلحة» وهنا يكون اقتصاده متحررا من ضوابط الوحي والدين.

أما إذا آمن الإنسان بأنه ليس سيد هذا الكون وإنما هو خليفة عن سيد هذا الكون وبارئه وراعيه سبحانه وتعالى وأنه ليس مالك الرقبة المالك الحقيقي والمطلق لحرية في الأموال والموارد والثروات وإنما هو وكيل ومستخلف في هذه الموارد والأموال والثروات فإن طرائقه عندئذ في الكسب والاستثمار والإنفاق لابد وأن تكون إذا أراد أن يكون مطيعا لمن استخلفه محكومة ومضبوطة بالإطار والفلسفة والمبادئ المتمثلة في عقد وعهد الاستخلاف أي المقاصد الشرعية في الأموال وهنا ينضبط الاقتصاد بكافة الضوابط الإسلامية التي جاء بها «الوحي» وأبنائه في الكسب والاستثمار والإنفاق من مثل فلسفة الإسلام في الملكية والحيازة وأحكامه في الكنز والاحتكار والقروض التي فرضها الله في الأموال والقواعد التي قررها للمعاملات الخ

وهنا ما أقامه هذه العلاقات بين آيات الاقتصاد في كتاب الوحي وبين آيات الاقتصاد من كتاب الكون تتحقق إسلامية الاقتصاد في المعرفة وفي التطبيقات.

وإذا نحن درسنا علم السياسة سياسة المجتمع والدولة والعلاقات الدولية باعتبار السياسة هي الإدراك والتصور والعمل بما هو ممكن من الخيارات الواقعية والقائمة والمحتملة تحقيقاً للمصلحة مطلق المصلحة وللمنفعة مطلق المنفعة وتحقيق بهذا العلم عند كونه فن ممارسة القيادة والحكم وعلم السلطة والدولة وفرع «العلم المدني» الذي يبحث أصول الحكم وينظم شئون الدولة تدبيراً يغلب فيه الجودة والإتقان.

إذا نحن درسنا علم السياسة باعتبار أن هذه هي مضامينها ومقاصدها، كانت دراستنا له متحررة ومتخلية من الإسلامية فلا تكون السياسة عندئذ سياسة شرعية، وهذا المنحى في دراسة السياسة هو الذي جعلها في المنظور الغربي نفعية صرفة، دون تقييد النفع بالقيود الشرعية، فبررت غاياتها كل الوسائل بصرف النظر عن مدى أخلاقية تلك الوسائل، فكان «الصراع» و«القوة» هم العناصر الرئيسية في المفهوم الغربي للسياسة.[1]

(1) انظر في هذه المصطلحات: [المعجم الفلسفي] وضع مجمع اللغة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٩ و[معجم العلوم الاجتماعية] وضع جونسكو، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م و[قاموس علم الاجتماع] إشراف عاطف غيث، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م و[موسوعة السياسة] المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت سنة ١٩٨٣م.

أما إذا نحن أقمنا العلاقة بين «الإسلامية» وبين «المعرفة السياسية» أي الصلة بين «الشرعي» و«المدني» في هذا العلم الذي هو من العلوم الإنسانية «المدنية» فإننا سنضبط مفاهيمه وممارساته بالمنطلقات والمقاصد الشرعية.

وهذه العلاقة بين «الشرعي» و«المدني» لن تجعل السياسة دينا خالصا ومقدسا ثابتا لأنها ليست من أركان الدين وأصول الاعتقاد وثوابت الشرع ولم ينزل الوحي وينطق الرسول ﷺ بكل ما هو لازم لها وفيها كما أن إقامة هذه العلاقة بين «الإسلامية» وبين «المعرفة السياسية» لا تعني بحال من الأحوال تجاهل «الواقع السياسي» وخياراته ولا التقليل من مكانته في المعارف السياسية ولا تجاهل «المصلحة والمنفعة» المنبعثة من علم السياسة وإنما تعني هذه العلاقة الإضافة إلى «الواقع» وضبط خياراته وليس إلغاءه أو تجاهله أو الغض من قيمته وضبط «المصلحة والمنفعة» وليس تجاهلها فهي تضيف إلى «الواقع» كمصدر للمعرفة السياسية مصدر «الوحي» بسننه الإلهية في الاجتماع الإنساني وبالقيم والتكاليف والمقاصد الشرعية والحكم المراد تحقيقها من الاجتماع والمجتمعات وتضبط «المصلحة والمنفعة» حتى تكون «المصلحة الشرعية المعتبرة» وليست المصلحة المطلقة والمتحررة من أخلاقيات الدين!

فهي العلاقة التي «تضيف وتضبط» تضيف «للواقع المادي» و«للمعرفة الحسية» وتضبط «الخيارات» المختارة بالمقاصد الشرعية التي حددها الإسلام لسياسة الناس

وعندئذ لن نجد السياسة في الممكن من خيارات الواقع هكذا بإطلاق، وإنما سنجدها «الأفعال والتدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح بالمعنى الإسلامي، وأبعد عن الفساد بالمعنى الإسلامي - حتى وإن لم ينزل بها الوحي أو يشرعها الرسول» كما قال واحد من علماء السلف علي ابن عقيل البغدادي [٤٣١ - ٥١٣هـ = ١٠٤٠ - ١١١٩م]

وسنجد في السياسة عندئذ «الكليات والمبادئ - الثوابت» التي تمثل «أطرا» للجزئيات «الفروع المتغيرات» التي تتطور بحسب «المصلحة الشرعية المعتبرة»، ووفقا لاختلافات الأزمان والأماكن وتبدل العادات والأعراف[1]

وفي «السياسة الشرعية» سنجد «للدولة - السلطة» معنى متميزا عن معانيها في «السياسة المدنية»، غير الإسلامية فهي ليست الجهاز المحايد تماما بين طبقات وفرقاء المجتمع وليست جهاز القوة والقهر للطبقات والفرقاء المحرومين من السيطرة والسيادة فيها، وإنما هي «دولة التوازن» بين الفرقاء الممثلين للتعددية في مجتمعها، فالتوازن هو الوسط أي العدل بين الفرقاء المتعددين.

● ففي قانونها توازن بين مبادئ الشريعة التي هي حاكمية الله «السيادة» وبين فقه المعاملات «الفروع» الذي هو

---

١ انظر ابن القيم [إعلام الموقعين] جـ ٤ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] ص ١٧ - ١٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

ثمرة لاجتهاد مجتهدي الأمة، ينمو ويتطور مواكبة للمصالح الشرعية المعتبرة.

● وفي قيادتها توازن بين عدم ولاة الأمر وبين طاعة الأمة، فالبقاء «لعدل نحن الأمة من طاعة» وبناء الأمور وأعلى مراتب رأس الدولة هي مرتبة الاجتهاد، ولا عصمة لمجتهد من الأمة فلا جماعها العصمة: «وإن أمتي لا تجتمع على ضلالة»، وحتى عندما كان رأس الدولة النبي الرسول الذي يوحى إليه فإنه كان يميز بين «تبليغه عن ربه الذي هو معصوم فيه لا ينطق عن الهوى وبين «مهمته السياسية وقيادته للدولة»، بالاجتهاد البشري والإنشاء للتدابير والسياسات، وعن هذه الاجتهادات السياسية تحدث ﷺ في مرض موته عندما صعد المنبر وخطب الناس فقال: «أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد[2] مني ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد مني ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني.»[3]

«فالعصمة» للأمة وأعلى مراتب الحاكم هي الاجتهاد حتى ولو كان نبيًّا ورسولا!

1) رواه ابن ماجه

2) أي فليقتص

3) السيرة النبوية لابن كثير جـ4 ص 457، وانظر: قاعة الطهطاوي [نهاية الأبحار في سيرة ساكن الحجاز جـ4 ص388 من أعماله الكاملة، دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة – طبعة بيروت سنة 1977م

● وسيظل شورى الأمة مقيدة بسيادة وحاكمية الشريعة التي هي وضع إلهي. وفي ذات الوقت هي ميزة لدولتها فهي فريضة إلهية وضرورة شرعية واجبة، وليست مجرد حق يجوز لها أن تتنازل عنه. هي إرادة ذلك هي فريضة حتى على رسول الله ﷺ وشاورهم في الأمر. وصفة من صفات الأمة المؤمنة: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون»[2] وهي ميزة للحاكم حتى ولو كان نبيا ورسولا لأنها اجتهاد فيما فيه اجتهاد ولم يقطع الوحي فيه بتشريع. وشورى الأغلبية نافذة في كل الحالات ورسول الله ﷺ هو القائل لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما»[3] والقائل وهو رأس الدولة وحاكمها: «لو كنت مؤمرا أحدا دون مشورة المؤمنين لأمرت ابن أم عبد»[4]: عبدالله بن مسعود.

وعلاوة على أن «قيمة الدولة» لم تتم بشورى الأمة واختيارها وبيعتها فإن حق الطاعة لدى «الدولة» على «الأمة» يظل مشروطا ومرهونا ببقاء «الدولة» ممثلة للأمة وموضع الرضا منها. فالقرآن لم يتحدث عن أولي الأمر بالفرد وإنما تحدث عن أولي الأمر في الموضعين اللذين ورد فيهما هذا المصطلح في القرآن الكريم. لقد اختار صيغة

(١) سورة آل عمران ١٥٩
(٢) سورة الشورى ٣٨
(٣) رواه الإمام أحمد
(٤) رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

«الجمع» لا الفرد، وربط الطاعة «لأولي الأمر» بكونهم من الأمة: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1]، ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2]، فهو يزكي القيادة الجماعية الشورية للدولة، ويشترط لطاعة أولي الأمر من قبل الأمة أن يكونوا منها، أي موضع اختيارها ومصدر ثقتها، وأهلاً لقيادة دولتها وسياسة مجتمعها، والممثلين لمصالحها الشرعية المعتبرة.

● وسنجد في أمة هذه «الدولة» التعددية في إطار الوحدة، تعددية أهل الشرائع الدينية المختلفة، في إطار الإيمان الديني، وتعددية التيارات التي تتنوع اجتهاداتها في الفروع داخل إطار الوحدة في الأصول.

سنجد ذلك، ومثله كثير، في «دولة» «السياسة الشرعية» التي تتميز «معرفتها السياسية» بـ«الإسلامية»، أي إقامة العلاقة بين ما هو «شرعي» وما هو «مدني» في هذا العلم من علومنا الإنسانية.

● وإذا نحن درسنا موضوعات «العلم الزراعي»: أرضاً وبذراً وماء ومناخاً، فإن حقائق هذا العلم وقوانينه، كواحد من العلوم الطبيعية، لن تتغير بتغاير معتقدات وحضارات وقوميات وبعاب الدارسين، ففي العلوم التي تتميز

(1) سورة النساء: ٥٩.
(2) سورة النساء: ٨٣.

«موضوعاتها» بالثبات والحياد. تتميز حقائقها وقوانينها هي الأخرى بالثبات والحياد، فهي «مشترك إنساني عام» ليس فيها شرقي وغربي، أو إسلامي ومسيحي، أو مؤمن وكافر. «فالواقع» هو مصدر معرفتها، «والحواس» هي أهم أدوات المعرفة فيها.

لكن «إسلامية العلم الزراعي» تأتي عندما تقيم العلاقة بين المقاصد الشرعية من الزراعة وبين تطبيقات ووظائف حقائق وقوانين هذا العلم الزراعي، أي عندما تقيم العلاقة بين «الخصوصية الإسلامية» في «فلسفة العلم الزراعي» وبين حقائق وقوانين الزراعة التي هي «مشترك إنساني عام».

فحقائق وقوانين العلم الزراعي ككل حقائق وقوانين العلوم إذا نحن وظفناها في دعم الإيمان بخالق هذا الكون الذي أمرنا بالنظر والتدبر والذي عاتب عليه قائلا هذا الموقف إلى العلماء الذين هم أكثر خشية لله لأنهم الأكثر معرفة بأسرار العلوم الكاشفة عن بعض أسرار الله في الأكوان ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١)

أما إذا لم توظف الحقائق العلمية هذا التوظيف الإيماني فإنها قد تقود وتفضي إلى علماء لا يعلمون سوى ظاهر من الحياة الدنيا، ومن ثم يقودهم الغرور إلى تأليه العلم والعلماء باعتباره «دين العصر» وباعتبارهم «الروحانيين الجدد»، ولقد شهدنا عندما تقدمت العلوم في أوربا حديثا وفي ظل

١ سورة فاطر ٢٨

«المادية والوضعية» «علماء» صاحوا صيحة منكرة فقالوا لقد مات الله تعالى الله عن ما صاحوا به علوا كبيرا

ووجه آخر لهذه القضية فكما يمكن توظيف حقائق العلم بدعم الإيمان والزعزعة فإن من الممكن توظيف تطبيقات هذه الحقائق في تحقيق مقاصد الشريعة طاعة لله سبحانه وتعالى وفي المحرمات عصيانا لله فإذا كانت حقائق زراعة العنب لا تتغاير بتغاير المعتقدات فإن زراعة العنب لـ الخمر هي تطبيق وتوظيف غير إسلامي لحقائق وقوانين زراعية

كذلك فإن كيمياء تركيب وتصنيع «السماد» الذي يستخدم في تسميد الأرض الزراعية هي حقائق وقوانين تجريدية تدخل في العلم الطبيعي الذي هو مشترك إنساني عام لا تتغاير بتغاير الحضارات والعقائد والفلسفات فليست في كيمياء السماد» خصوصيات حضارية

لكن فلسفة استخدام وتوظيف هذا العلم الطبيعي تختلف باختلاف المقاصد والغايات المحركة للإنسان الذي يوظفه ويطبقه وباختلاف نظرة هذا الإنسان للطبيعة الأرض والبيئة التي يوظف فيها ثمرات هذه «الكيمياء»

● فالحفاظ على التوازن بين المكونات الطبيعية والقوى الذاتية والعناصر الخلقية للأرض الزراعية وبين طاقاتها في الإنتاج الزراعي وقدرتها على العطاء هو موقف وفلسفة تجعل استخدام «كيمياء السماد» بالقدر الذي يحفظ هذا التوازن

أما فلسفة «قهر الأرض» النابعة من فلسفة «قهر الإنسان للطبيعة» فتعطي الآن أكبر عائد مادي وأوفر محصول في أقصر وقت بصرف النظر عن الأذى الذي يصيبها عندما تختل توازن تركيبها بعينه «الصناعي» على «الطبيعي» فيها وعلى حساب مستقبلها والذي هو مستقبل الأجيال الآتية لتحيا عليها. أما هذه الفلسفة فلسفة قهر الطبيعة تعطي على معدلات الوفرة المادية في اللحظات الآنية فلسفة «واغنم من الحاضر لذاته» بأي ثمن وبصرف النظر عن النتائج فإنها هي التطبيقات التي تتغاير وتختلف باختلاف الفلسفات والعقائد والحضارات.

وأيضًا فإن استزراع الغابات هو السبيل إلى قيام الغابات وبهذا الاستزراع قوانينه وحقائقه العلمية العامة والذاتية كما أن قطع أشجار الغابات هو السبيل إلى الحصول على أخشابها وذلك آلياته وقوانينه العامة وليس هناك مغايرة في حقائق وقوانين الاستزراع للغابات ولا في حقائق وقوانين القطع لأشجارها بتغاير مذاهب الأمم والحضارات والديانات.

لكن إزالة الغابات وتجريد الأرض منها بزرع أرضها بالمحاصيل الأخرى أو بالانتفاع بأخشابها أو لإقامة المشروعات غير الزراعية عليها أو إبادتها بالتلوث وبالحروب دون اعتبار لعامل التوازن البيئي الذي يحافظ وجودها عليه ويحل به قطعها وإزالتها هي فلسفة متميزة في النظر إلى الطبيعة وفي التعامل مع البيئة والمحيط إنها الفلسفة التي

يشهد اليوم آثار شيوع تطبيقاتها في صور الإخلال بتوازن البيئة، الأمر الذي يجرّ على الإنسانية الكوارث والمخاطر الجسام.

إن القبضات والسيول التي تعاني منها بلاد عدة في شبه القارة الهندية، لها علاقة عضوية بتجريد جبال الهملايا من غاباتها وإن الجفاف الناشئ عن تغير مواعيد ومقادير الأمطار التي تسقط على بلاد القارة الإفريقية هو ثمرة مرة لتجريد هذه القارة من غاباتها!

ومثل هذه «الأمراض» تحدث وتشيع في أمريكا اللاتينية في حوض الأمازون وغيرها من المناطق التي وطئت فيها حقائق العلم الطبيعي وقوانينه، لتحصيل أكبر عائد مادي في أقصر وقت بصرف النظر عن تأثيرات ذلك على توازن البيئة والمناخ.

وقس على ذلك قضية «كيمياء المبيدات الحشرية» تلك التي لا تتغاير هي الأخرى، حقائق علمها وقوانين تجاربها ولكن فلسفات توظيفها وأساليب استخدامها هي التي تتغاير وكذلك ثمرات هذه التطبيقات. فإما حفاظ على توازن الحياة والأحياء كل الحياة وجميع الأحياء وعلى عناصر الوجود كل ظواهر الوجود على النحو الذي تؤدي فيه هذا التوازن وظائفه في النفع وفي الحفاظ على الوجود وإما خلل يدخل بالإنسانية وبالطبيعة فيما أدخلتهما فيه الفلسفات المادية الحديثة من تطبيقات أثمرت ما تعانيه الآن من مرّ الثمرات!

فحقائق العلم الطبيعي لا تتغاير وقوانينه لا تختلف بتغاير واختلاف العقائد والفلسفات والحضارات، لكن فلسفة تطبيقه، ومقاصد توظيفه هي التي تختلف وتتغاير باختلاف المعتقدات وتتغاير الحضارات.

إننا مدعوون - انطلاقاً من «إسلامية فلسفة العلم الطبيعي» - إلى النظر في آيات كتاب الوحي التي أشارت إلى الجبار كأوتاد للأرض: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً ۝٦ والجبال أوتاداً ۝٧ وخلقناكم أزواجاً﴾[1].

ونحن مدعوون كذلك إلى النظر في الآيات التي تحدثت عن التوازن والميزان بين كل أنواع الخلق وسائر أصناف المخلوقات.

* * *

إن التعددية في الألوهية - ونفي التوحيد - هي - بالدليل العقلي - مصدر الفساد والإفساد في المخلوقات: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ۝٢ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾[2]. بينما التعددية، وتوازن الفرقاء المختلفين في كل عوالم الموجودات التي خلقها الله متعددة لتتوازن: ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[3]. ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾[4].

(١) سورة النبأ: ٦ - ٨ (٢) سورة الأنبياء: ٢٢
(٣) سورة الرعد: ٣ (٤) سورة الذاريات: ٤٩

بينما هذه التعددية في المخلوقات والتوازن بين فرقاتها هي المقتضية للعدل والصلاح في هذه المخلوقات وصدق الله العظيم: ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ۝ أن رآه استغنى ﴾

فالتعددية في طبقات الأرض وفي مكوناتها وقيام التوازن بين هذه الطبقات وهذه المكونات والتعددية في طبقات السماء وفي مكوناتها وقيام التوازن بين هذه الطبقات وهذه المكونات هو المعبر عن قيام إسلامية المعرفة في فلسفة علوم الطبيعة التي تدرس ظواهرها وقواها وما فيها من آيات وطاقات

وهذا هو معنى «إسلامية فلسفة العلم الطبيعي» التي تقف عندها «إسلامية المعرفة» في العلوم الطبيعية ولا تتعداها إلى حقائق وقوانين هذه العلوم التي هي بنت التجربة كمصدر أول لاكتشافاتها وتطورها

وقس على هذا المثال ما تعنيه «إسلامية المعرفة» في العلوم والمعارف الطبيعية الأخرى فحقائق وقوانين «الوراثة» لا تتغير بتغاير المعتقدات والحضارات لكن توظيفها يختلف باختلاف فلسفة العلم التي يعتنقها أهل التطبيق والتوظيف لهذه الحقائق والقوانين ومثل ذلك الطب والطاقة والكيمياء والفيزياء وغيرها من علوم النجدة الكونية

(١) سورة العلق ٦ ، ٧

● وإذا نحن نظرنا إلى علاقة الإنسان بظواهر الطبيعة وقواها، التي سخرها الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان إكراماً له وتكريماً، وإلى إشارة إلى بعض منها آيات كثيرة في القرآن الكريم: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ٣٢ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ١ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ ٢ ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ ٣ ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ ٤ ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ ٥ ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون ٠ والذي أنزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون ٠ والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ٣ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ ٦ ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه

(١) سورة إبراهيم ٣٢، ٣٣
(٢) سورة النحل ١٢
(٣) سورة النحل ١٤
(٤) سورة الحج ٦٥
(٥) سورة لقمان ٢٠
(٦) سورة الزخرف ١٠، ١٣

بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٢) وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»[1] «والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين»[2]

إذا نظرت إلى علاقة الإنسان بهذه الظواهر والقوى التي سخرها الله - سبحانه وتعالى - له، فإنك ستجد بهذه العلاقة إذا كانت إسلامية، ضوابط تميزها عن حالها إذا ما تحررت من ضوابط الإسلام.

فتدمير ظواهر الطبيعة وقواها وكنوزها، يجعل قهر الإنسان للطبيعة، هي فلسفة هذه العلاقة، والإخلال بعلاقات موازنها هو مما يتنافى مع المعنى الإسلامي لمصطلح «التسخير»، تسخير الله هذه الظواهر والقوى والكنوز للإنسان.

فهذا «التسخير» هو سوق وقهر من الله لهذه الظواهر والقوى، ولكنه، بالنسبة للإنسان يعني «الارتفاق»، لقد سخرها الله لنا لنرتفق عليها وبها، فيكون لنا مرفق نرتفق به، وإلا، ألسنا مطالبين بالرفق بالحيوان الذي سخره لنا الله؟ وأليس قهر المرفق، وتدميره مما يتنافى مع حكمة خلقه وتسخيره للإنسان؟

(١) سورة الجاثية ١٢، ١٣

(٢) سورة الحج ٣٦، ٣٧

تلك هي إسلامية علاقات الإنسان بظواهر الطبيعة وقواها، الأرض بطبقاتها وبحارها وأنهارها وغاباتها وجبالها، والسموات بطبقاتها وكواكبها ونجومها وأقطارها، وما بين السماء والأرض من الهواء.

فبهذه العلاقة الإسلامية يحفظ الإنسان لا إسلامه وإسلامه فقط وإنما أيضا يحفظ سلام وسلامة «صفحات كتاب الكون» عندما يحافظ على «توازن وتزن وميزان» هذه «الصفحات» في هذا «الكتاب»!

ونحن إذا تأملنا مدلولات مصطلح «الميزان» وبعض مشتقاته في المواطن التي جاءت بها في القرآن الكريم، نستوفي الحديث عن الطبيعة وقواها ومظاهرها وآياتها، ينكشف أمامنا خطر هذا المعنى لإسلامية علاقة الإنسان بهذه القوى والمظاهر والآيات التي يدعها الله وسخرها لهذا الإنسان: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ١٩ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ٢٠ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ٢١ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾[1] فحافظوا في علاقاتكم بهذه الآيات الكونية على الميزان والتقدير الإلهي.

﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾[2] ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾[3] فكما أننا

(١) سورة الحجر ١٩ - ٢٢ (٢) سورة الشورى ١٧
(٣) سورة الحديد ٢٥

مطالبون دينًا بالحفاظ على «آيات كتاب الوحي» [illegible] مطالبون [illegible] بالحفاظ على [illegible] آيات كتاب الكون والوجود»

ومن [illegible] لا يرى هذه الحقيقة، حقيقة دعوة القرآن في «سلامة العلاقة بين الإنسان وبين قوى الطبيعة [illegible] في «كتاب الكون» [illegible] محسوسة [illegible] الآيات الأولى من سورة الرحمن ١ الرحمن ٢ علم القرآن ٣ خلق الإنسان ٤ علمه البيان ٥ الشمس والقمر بحسبان ٦ والنجم والشجر يسجدان ٧ والسماء رفعها ووضع الميزان ٨ ألا تطغوا في الميزان ٩ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ١٠ والأرض وضعها للأنام ١١ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ١٢ والحب ذو العصف والريحان ١٣ فبأي آلاء ربكما تكذبان ١٤ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ١٥ وخلق الجان من مارج من نار ١٦ فبأي آلاء ربكما تكذبان ١٧ رب المشرقين ورب المغربين ١٨ فبأي آلاء ربكما تكذبان ١٩ مرج البحرين يلتقيان ٢٠ بينهما برزخ لا يبغيان ٢١ فبأي آلاء ربكما تكذبان ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ٢٣ فبأي آلاء ربكما تكذبان ٢٤ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ٢٥ فبأي آلاء ربكما تكذبان»[1] صدق الله العظيم

فهذه الآيات والآلاء في «كتاب الكون» التي عرضت [illegible] «كتاب الوحي» لعلاقات توازنها وتوازنها مطلوب من الإنسان أن يحافظ على هذا التوازن عندما يرافق هذه الآيات ويرتفع بهذه النعم فيقيم السلام الإنساني مع آيات الوجود ويحقق السلامة له ولآيات هذا الوجود!

(١) سورة الرحمن ١ - ٢٥

وبعد هذا التعريف والضبط للمصطلح «اسلامية المعرفة»

وبعد الإشارات الموجزة لأمثلة شاهدة على ما تعنيه هذه الاسلامية للمعرفة في العلوم الانسانية والاجتماعية وفي العلوم الطبيعية وفي علاقات الانسان بظواهر وآيات «كتاب الوجود»

يستبين لنا أن جوهر القضية وحقيقة الخلاف بين «اسلامية المعرفة» وبين «لا اسلاميتها» هو الاعتراف بوجود علاقة بين «مصدر الوحي» وبين «مصدر الوجود» كمصدرين للمعرفة الانسانية وأن نفي وجود هذه العلاقة

وبتعبير آخر هل هناك سبيل آخر غير «الحواس» و«تجاربها» هو سبيل الوحي لادراك وتصور وضبط معارف الانسان في الوجود الطبيعي والانساني أم أن «الحواس» و«تجاربها» هي مصدر المعرفة لحقة الوحيد في هذه العلوم وما عدا ثمراتها من المعارف هو «ميتافيزيقا» و«خيال»؟!

وبصياغة أخرى للقضية لقد أنزل الله سبحانه وتعالى على محمد بن عبدالله ﷺ وحيه بالقرآن الكريم فكان موضوعا للعلوم الشرعية في حضارتنا الاسلامية ثم ولدت وتبلورت ونمت للمسمين علومهم المدنية البشرية الحضارية» فهل كان «للوحي» وعلومه علاقات بعلوم

«الحضارة المدنية»، وتأثرت فيها صبغتها بدرجات متفاوتة وضبطتها على أنحاء مختلفة بصبغة الوحي وضوابط الشرع الإلهي» أم أن العلاقة منفكة والصلات مقطوعة بين بناء «الإيمان الديني» و«بناء التمدن الحضاري».

إن القائلين بـ «إسلامية المعرفة» يجيبون على هذا السؤال بـ «نعم» لأنهم لا يفصلون في مصادر المعرفة بين كتابي «الوحي» و«الوجود».

بينما خصوم «إسلامية المعرفة» يجيبون على هذا السؤال بـ «لا» لأنهم لا يرون للعلوم الحضارية بل وحتى للعلوم الدينية مصدرا سوى «الواقع» الذي تدركه «الحواس» فلا شيء غير «الواقع» ولا سبيل للمعرفة سوى «الحواس».

تلك هي القضية قضية «إسلامية المعرفة» في حقيقتها وفي جوهرها

(٤)
النموذج القرآني لإسلامية المعرفة

وكما سبقت إشارتنا فإن إسلامية المعرفة كمهمة ثقافية ورسالة فكرية وكمنهج متميز في مناهج المعرفة الإنسانية ليست جديدة جدة هذا الشعار الذي نعبر به عنها الآن فلقد عرفتها حضارتنا الإسلامية واعتمدتها وبنيتها كبديل إسلامي للمعرفة المادية والحسية معرفة الدهريين والمشركين الذين لم يروا للمعرفة مصدراً سوى «الواقع المحسوس»، ولم يتصوروا لهذه المعرفة أدوات وسبلاً سوى «الحواس» اعتمدت حضارتنا هذا المنهج المتميز منذ ظهور الإسلام

وشاهدنا على هذه الحقيقة هو كتاب الإسلام الأول القرآن الكريم

وفي اعتقادنا أن بالإمكان بل إنه لواجب استخلاص منهج كامل مدعم بالشواهد لإسلامية المعرفة من القرآن الكريم

وإذا كان مقام هذه الدراسة لا يسمح بالإطالة في عرض هذا النموذج القرآني لمنهج إسلامية المعرفة، فإن بعضاً من الإشارات لعدد من الآيات القرآنية التي عرضت لهذه القضية كافية لإقامة هذا الدليل ولبيان مذهب القرآن في هذا الموضوع

● فنحن عندما نتأمل قول الله سبحانه وتعالى: «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»[1]

نجد القرآن الكريم يحدثنا عن أن مثل الذين لا يرون للمعرفة سبيلا غير الحواس ولا يمضي إلى مصدر غير «الواقع المحسوس» كتاب الوجود هم كمثل الذين لا يرون في القلب غير اللحمة الصنوبرية الشكل المستقرة في التجويف الأيسر من الصدر. وهذا هو التعريف «الحسي» لـ «القلب المادي» فليس هذا عند هؤلاء للبصر ولا للإنسان سوى «العين» - «الحاسة»!

أما المنهج الإيماني الذي يرى للمعرفة مصدر ثابت غير «الوجود» هو «الوحي» ويرى في العوالم عالم الغيب وليس فقط عالم الشهادة، وليس المعرفة أدوات أخرى، مع الحواس. أما هذا المنهج الإيماني فإنه يرى في «القلب» ما هو أكثر من اللحمة الصنوبرية الشكل، إنه يرى فيه أيضا أداة التفكير والتعقل، واللطيفة الربانية التي بها يتقبل الجسماني تعلق وهي حقيقة الإنسان التي يسميها الفلاسفة «التفكير الناطقة» كما عرفه الإسلاميون الذين فهموا معنى حديث الفرار عن «عقل القلوب» و«فقه القلوب» و«الحكم على القلوب».

● ونحن عندما نتأمل قول الله سبحانه وتعالى: «ألم غلبت الروم[2] في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون[3] في بضع

(1) سورة الحج: 46

سنن الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ﴿ ينصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾

عندما تتأمر هذه الآيات تدرك أن الحواس وحقائق الوجود واقع الروم الذين عليهم الفرس في أدنى مكان على سطح الكرة الأرضية على شاطئ البحر الميت

لكنه تدرك أيضا ما هو فوق ذلك الوجود المحسوس تدرك «بيت العنب» في كتاب الوحي أن الروم هؤلاء الذين عليهم سيغلبون الفرس في بضع سنين وهذا هو بيت الغير المحسوس الذي عد بعد بضع سنين من نزول هذه الآيات «محسوسًا» في كتاب «الوجود»[1]

فالوقوف عند سمر وثمرات الطريق الأول الحسي في العلم والمعرفة فقط يقف بصاحبه عند ظاهر الحياة الدنيا عند معطيات الوجود وحدها عند عالم الشهادة الدنيوي - وحده

يتسبب الصدور في المعرفة من المصدرين الوحي والوجود كليهما، يضيف معارف لا تفصح عنها كتاب الوجود بمفرده ولا تدركها «الحواس» وحدها كما ينفي الغفلة الإنسانية عن «الغيب» الآخرة الذي تفرد به وتفرد «الوحي» - نبأ السماء العظيم

(١) سورة الروم ١ - ٧

● وإذا نحن تأملنا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ٢٣ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ٢٤ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾

إذا نحن تأملنا هذه الآيات وجدنا نموذج ذلك الذي عبد الدنيا وأهواءها فاتبعني ما وراء «المادة والواقع المحسوس» ووقف بعلمه دون الإلهي الآتي بواسطة «الوحي» أي وقف به في إطار العلم الدنيوي وحده وحال بين سمعه وقلبه وبصره وبين تجاوز الواقع المحسوس

فإذا جاءته آيات الله غير المادية والراهنة التي لا تقف في البرهنة عند الحواس وحدها ظل منصرفا عنها مستمسكا بالمحسوس وحده كمصدر وحيد للمعرفة وبالحواس فقط كسبيل وحيد للإدراك ولذلك طلب أن يأتي له بالموتى من آبائه ليرى منهم ويسمع بالبصر والسمع الحسيين نبأ البعث وخبر النشور فهو يريد أن يعرف «بالحواس» معارف «العالم غير المحسوس»

فمعرفة هؤلاء حسية دهرية لا دينية غير إسلامية لا ترقى إلى «العلم» الذي هو إدراك الشيء على ما هو به وإنما مبلغها أن تقف عند «الظن» الذي لا يغني من الحق

(١) سورة الجاثية ٢٣ ٢٥

شيئا في بعض الاحيان ولا يعني من الحق كل شيء في احيان اخرى!

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾[1]

عندما نتدبر هذه الآيات نعلم أن هذا الذي مر على القرية الخاوية على عروشها لم يدرك إلا ما تحسه الحواس فلم ير من هذه القرية إلا «الواقع المادي المحسوس» والآتي ولم يتصور إمكان عمل الدليل قدرة الذي بدأ الخلق على أن يعيده مرة أخرى فأقام به الله سبحانه وتعالى البرهان المحسوس من جنس الذي وقفت عنده مداركه فآمن وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير!

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ٧٧ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ٧٨ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ٧٩ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ٨٠ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾[2]

(١) سورة البقرة ٢٥٩ (٢) سورة يس ٧٧ ٨١

عندما نتدبر هذه الآيات نرى تعرض لنا الذي لم يستدل بالمحسوسات التي نراها على وجود الصانع لسبق المخلوق للخالق وهي على غير الصورة التي نراها في الحاضر والمشاهد حتى في المحسوس المشهود. فوقف به تركه عند المحسوس من الواقع المحسوس. قد نرى ما بعد الموت سوى الأشياء التي نحوت عنها ونحن نراها في الحاضر لا نستطيع أن نحولها لنشاهدها في المستقبل ونصف نحوها بسحر الحاضر الذي نراه فيه. لا يمكننا أن نتصور على الإطلاق خروج الحي من الميت والميت والموت ليسا محسوسًا تدركهما الحواس

ولكنه وقف في مصدر المعرفة وهو الوقوف عند المحسوس و«الحواس» لا يتعداهما

● وعندما نتفكر في قول الله سبحانه وتعالى ﴿ تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [فصلت: ٩-١٢] نجد أن الله سبحانه وتعالى قد بدأ بالأرض ثم السماء ثم الأرض ثم السماء ثم الأرض ثم السماء ثم ال

عندما نفكر في هذه الآيات، نجد كيف أن الله لم يشهد بالحواس خلق نفسهم ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1] هؤلاء لم يشهدوا بالحواس خلق أنفسهم فيكفرون ولا يستطيعون يشهدوا بحواسهم أن الله لم يصنعهم، فكل عابديهم بعد الخلق لأنهم لم يدركوا ولم يتصوروا معرفة غير التي يحصلونها بالحواس.

● وعندما يتدبر قول الله سبحانه وتعالى وقد سأل قومه الذين كفروا وكذبوا بالآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ٣٥ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]

عندما نتدبر هذه الآيات نرى كيف اقتضى المنهج القرآني أن يُصحبه في الاعتراض على الكفر الصريح

لقد أعلن الترف مدارکهم فلم يدركوا سوى ما هو مرئي لعيونهم، فكذبوا رسولهم عندما لم يدركوا صدق نبوته وبرسالته ووقفت بهم حواسهم عند ما هو محسوس وحده فلم يدركوا عبر ما ترى الحواس من أن بشرًا مثلهم

(١) سورة الكهف ٥١

(٢) سورة المؤمنون ٣٣ – ٣٨

يأكلون منه ويشربون مما يشربون، وكذبوا بالبعث عندما لم يستخدموا في تحصيل معرفة وإمكانية تدبير قدرة الذي خلق ابتداء على الإعادة مرة أخرى، ثم بعد حواسهم من خلال ما بعد الموت، الأجساد التي تحولت وتتحول إلى تراب وعظام.

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ۝ وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ۝ ٧٩ وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار فلا تعقلون ۝ ٨٠ بل قالوا مثل ما قال الأولون ۝ قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ۝ ٨٢ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾

عندما نتدبر هذه الآيات البينات، نرى

كيف أشار ربي إلى الله سبحانه وتعالى بما خلق لهم من أدوات المعرفة ما هي أكثر من الحواس، فلقد خلق لهم الأفئدة التي تفقه وتعقل والتي هي بمثابة الله والجوهر من الإنسان، وخلق لهم من أدوات المعرفة أيضا الحواس مثل «السمع والأبصار».

ثم حدثتهم الآيات القرآنية آيات الكتاب الوحي عما خلق الله سبحانه وتعالى من آيات الكتاب الكون، خلقهم في الأرض وبثهم في أنحائها وحشرهم إلى خالقهم يوم الدين والإحياء والإماتة واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما

(١) سورة المؤمنون ٧٨ - ٨٣

لكنهم لما لم يستخدموا من أدوات المعرفة سوى الأدوات الحسية قصرت بهم معرفتهم عن [illegible] لا [illegible] الحواس [illegible] عطلوا [illegible] والأدوات [illegible] وراء [illegible] فوقفت معارفهم عند الواقع المحسوس لا تتعداه ومن هذا كان قولهم [illegible] الأولون [illegible] أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون [illegible] التراب والعظام»[1]

ولما لم يستخدموا غير حواسهم [illegible] عن المحسوس وأهملوا المصدر الآخر من مصادر المعرفة [illegible] السماء [illegible] والأدلة السمعية [illegible] حكموا على معارف هذا المصدر الذي أهملوه بأنها [أساطير الأولين]

[illegible] بقوله [illegible] الوضعيون [illegible] المعرفة الحقة هي ما تدركه الحواس [illegible] معارف «الواقع» وعلومه [illegible] وحده [illegible]

● [illegible] عندما يتفكر في [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] وقالوا إن هذا إلا سحر مبين [illegible] أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون [illegible] الأولون

عندما يتفكر في هذه الآيات يرى كيف عرض القرآن نقص منهج المعرفة المادية الحسية [illegible] الذي وقف بمصادر المعرفة عند «الواقع المحسوس» [illegible] عند «الحواس» [illegible] المنهج

(١) سورة الصافات ١٤ - ١٧

الذي جعل أصحابه لا يدركون من الآيات ما وراء الذي تدركه الحواس، فهم يبالغون في السخرية من هذه الآيات غير المحسوسة حتى لقد حسبوها - لإهمالهم أدوات إدراكها - مجرد سحر خادع للحواس. وكيف أيضا لم يروا فيما بعد الموت إلا ما تدركه الحواس من «واقع» تحول الأجساد إلى تراب وعظام!

هكذا وعلى هذا النحو ومثله عرض القرآن الكريم لكثير من الأمثال التي ضربها شواهد على قصور المعرفة الحسية وحدها عن أن تدرك ما يجب أن يدركه الإنسان وعجزها عن أن تتصور حقائق عالم الغيب فتؤمن به أو أن تحيط بما في «كتاب الوحي» وبما أنشأه من حقائق لا تدركها الحواس وحدها.

عرض القرآن لهذه الأمثال إقامة لمعالم المنهج المتكامل في المعرفة ذلك الذي يزامل بين «كتاب الوحي» و«كتاب الوجود» مصدرين للمعرفة الإنسانية ويعتمد كل سبل الإدراك والتصور تحصيلا للمعارف والعلوم على اختلاف مصادرها.

فهو المنهج الذي يقيم العلاقة بين «الوحي» و«الوجود» بين «الشرعي» و«المدني»، منهج «إسلامية المعرفة».

لقد كان القرآن الكريم - وهو كتاب المسلمين الأول - والذي خرجت حضارتهم بين وأمتهم من بين دفتيه كان ولا يزال المصدر الأول لصناعة هذا المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة

● فهو يطلب منا أن نتدبر ونتدبر آيات كتاب الوحي المقروء ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[1] والتدبر هنا لا تدركه الإنسان بمجرد الحواس فلا يضر القارئ ولا يسمع السامع بمحقق بهذا التدبر المطلوب وإنما هو القلب الذي نبت من على أبوابه الأقفال ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾[2] وهذا يصلح بكون «ليت» لقلب العقل أراد التدبر والتذكر في آيات هذا الكتاب الكريم

● وهو القرآن الكريم يطلب منا كذلك النظر والتفكير في آيات «كتاب الكون» المنظور ﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴿٩﴾ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ﴾[3] ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴿٩٥﴾ فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ﴿٩٦﴾ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴿٩٧﴾ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴿٩٨﴾ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾[4] ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا

(١) سورة محمد ٢٤ (٢) سورة ص ٢٩
(٣) سورة العنكبوت ١٩، ٢٠. (٤) سورة الأنعام ٩٥ ٩٩

وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار»[1] ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون»[2] ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون»[3]

● بل وتعلمنا القرآن الكريم أن كلا من هذين المصدرين للمعرفة تعلمنا أن كليهما تنزيل إلهي وإرادة إلهية وتدبير إلهي

فإذا كان القرآن الكريم كتاب الوحي هو البلاغ الإلهي وإذا كانت السنة النبوية الثابتة الصحيحة هي البيان النبوي لهذا البلاغ الإلهي فنحن قد عرفنا وتلقينا هذا المصدر للمعرفة من النبوة والرسالة المعصومة

على حين نحن نتلقى علوم الكون والإنسان بواسطة «الحكمة التي هي وفق التعريف النبوي لها الإصابة في غير النبوة»[4] ووفق المعنى اللغوي لها «معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم»[5]

فنحن نتلقى من الرسول ﷺ «كتاب الوحي» ونستخلص بالحكمة «علوم الكون» والقرآن يعلمنا أن كلا منهما

(١) سورة آل عمران ١٩١ (٢) سورة الروم ٨

(٣) سورة النحل ٤٤

(٤) «والحكمة الإصابة في غير النبوة» – رواه البخاري

(٥) ابن منظور [لسان العرب] مطبعة دار المعارف القاهرة

«الكتاب» و«الحكمة» من عند الله مصدران للمعرفة الإنسانية وجناحان لمنهج واحد في استخلاص واستنباط وإدراك وتصور المعارف والعلوم ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾[1] ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾[2]

بل إن اعتبار «كتاب الوحي» مع «كتاب الوجود» مصدر للمعرفة لا تقف ثمراته فقط عند إضافة «معارف عالم الغيب» إلى «معارف عالم الشهادة» التي نستمدها من كتاب الوجود وإنما يضيف هذا الموقف إلى المعارف الإنسانية عن عالم الشهادة إضافات كثيرة وعظيمة مصدرها «كتاب الوحي» أيضا فكتاب الوحي الذي يقرر أنباء عالم الغيب قد عرضت آياته لكثير من «السنن» و«القوانين» الحاكمة والهادية للإنسان الناظر في كتاب الوجود

وإذا كانت «السنن الخارقة للعادة» وهي خارقة للعادة «المعتادة» وليست خارقة للقوانين المعقولة قد اختص الله سبحانه وتعالى بها الذين اصطفاهم من الأنبياء والرسل إقامة للحجة وتمييزا للحق عن الباطل فإن «السنن» الجارية هي «القوانين» التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الوجود الطبيعي والإنساني ودعا أهل العلم إلى اكتشافها وإلى إعمالها

(١) سورة البقرة ١٥١

(٢) سورة البقرة ٢٣١

عندما أودع في كتاب الوحي النماذج والأمثال لها وعليها فكل أهل المعرفة مدعوون إلى تأملها وإلى اتخاذها «سبلا إلهية» سريعة للمعارف «المدنية» في عالمي الطبيعة والإنسان.

وإذا كانت إشارات قد سبقت إلى بعض من هذه السنن التي عرض لها القرآن الكريم في ظواهر الطبيعة وفي التوازن بينها فإن إشارات إلى بعض من هذه السنن الإلهية في الاجتماع الإنساني كفيلة باستكمال صورة المعرفة القرآنية في عالم الشهادة، وكتاب الوجود.

● فمن القرآن الكريم نتعلم سنة الاقتران الدائم بين الدين والرسالات الإلهية وبين «الحاضرة» التي تمثل طور الاستقرار للإنسان الأمر الذي يكشف لنا عن البعد الحضاري للدين والتدين ففي القرية مكان القرار والاستقرار تتوافر إمكانات البناء والتراكم في المعارف النظرية التي تتجسد تطبيقاتها في «التمدن المدني» وهما جناحا الحضارة على النحو الذي لا يتأتى في «البادية» بسبب «الترحال».

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون».

فالرسول الخاتم بعث بالكتاب الخالد في أم القرى وكانت هجرته إلى ثانية القرى وقد مثلت الهجرة في عهد النبوة إنجازا عظيما من إنجازات «التحضر» نقل «البدو» إلى الحضر.

١ سورة الأنعام ٩٢

وستبدأ «الحضارة بالبداوة» حتى لقد اعتبرت العودة إلى «البادية» ردة عن هذه «الحضارة» التي أنجزها الإسلام[1]

وكذلك كانت هذه «السنة» سنة اقتران الدين بالحضارة والبعد الحضاري عبر تاريخ كل الرسالات ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[2]

فهي سنة من سنن الاجتماع الديني يتعلمها من القرآن الكريم

● ومن القرآن الكريم نتعلم سنة الارتباط ارتباط المقدمة بالنتيجة بين الظلم والترف والفساد والبغي وبين التدهور والهلاك للاجتماع الإنساني والحضارات

«وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ٥٧ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين ٥٨ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[3]

«وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾[4]

١) في الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم والنسائي [illegible] على عقبيك؟ تعريب؟
٢) سورة القصص ٥٩ ٣) سورة القصص ٥٧ ٥٩
٤) سورة الإسراء ١٦

«واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ... وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» ... «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير»[2]

فالقضاء بالبر والظلم والفساد والبغي إلى النهب وهلاك الحضارات سنة وقانون من سنن وقوانين الاجتماع الإنساني، نتعلمها من القرآن الكريم

● ومن القرآن الكريم نعرف سنة ارتباط الانفراد بالأثرة والاستئثار، مطلق الانفراد كمقدمة للطغيان، كما ينطق الطغيان

«كلا إن الإنسان ليطغى ... إن رآه استغنى»[3]

فكل استئثار بنون أو مبدأ من مبادئ «السلطان» المالي والإداري أو السياسي أو في الرعاية الأسرية هو مقدمة مفضية حتماً إلى الطغيان!

● وكما تعلمنا القرآن الكريم أن وحدانية الخالق هي علة انتفاء الفساد عن التدبير والرعاية الإلهية في عوالم المخلوقات الأرضية والسماوية، «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» ... نتعلم منه كذلك سنة وقانون التعددية والتوازن في جميع عوالم وأمم المخلوقات

(1) سورة هود ١١٦، ١١٧
(2) سورة الشورى ٢٧
(3) سورة العلق ٦، ٧
(4) سورة الأنبياء ٢٢

فعبر تعددية وتوازن ظواهر الخلق في عالم الطبيعة هناك تعددية وتوازن في عوالم الاجتماع الإنساني

تعددية وتوازن الأنس والألوان والقوميات والنظريات في إطار وحدة الإنسانية ووحدة الخلق

وتعددية الشرائع الإلهية، تتعدد أمم الرسالات في إطار الدين الإلهي الواحد

وتعددية وتوازن مذاهب الفروع في إطار وحدة الأصول في العقيدة والشريعة

وتعددية وتوازن الأفراد والطبقات في إطار كل أمة من الأمم على نحو ما تتعدد الأعضاء في الجسد الواحد[1]

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[2]

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخير إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[3]

(١) سورة الحجرات ١٣ (٢) سورة الروم ٢٢

٣ سورة المائدة ٤٨

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ۸
إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين﴾

● والمراد بالتنوع هو الذي يحقق على الفروق المتغايرة
بين الأفراد، ويحول بينهم وبين الصراع الذي يفني بعضهم
بعضاً عندما يقف كل طرف بعناد لا يعرف تصرفهم وأداء مظاهره
والساحة» منهم

وإذا كان الخلاف يقتضي «التنوع» يؤدي إلى
التشاحن ستبدأ طرف بكر الخلاف وتصرار دون بقية
الأطراف على نحو يؤدي إلى «تعددية مختلفة» القرآن
الكريم يقتضيها سنة» وحكم» إلى الدفع» الذي هو حدث
اجتماعي وليس تصرع لاجتماعي هو سنة وحكمة
وسنة لأنه «الدور» إلى مقدمة داخل عجلة «الخير في
مظاهره من ظواهر الاجتماع هو» الدفع» تحويل لموقع الفرقاء
في إطار التعددية وليس بقاءهم فريق لغيره من الفرقاء

﴿ولهم فوهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة
وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن
الله ذو فضل على العالمين﴾ ٢

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم
أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ۲۴۳ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع
عليم ۲۴۴ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ۲۴۵
ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن
كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال
تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين ۲۴۶ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك
علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله
يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۲۴۷ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية
مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ۲۴۸ فلما فصل طالوت بالجنود قال
إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً
منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ۲۴۹ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً
وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ۲۵۰ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة
وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ۲۵۱﴾

(١) سورة هود ١١٨ و ١١٩
(٢) سورة البقرة ٢٥١

بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[1]

﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾[2]

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[3]

تلك إشارات إلى بعض من سنن الاجتماع الإنساني التي تحدث كتاب الوحي القرآن الكريم قد مثل فيها مصدر المعرفة في عالم الشهادة تقوم دليلا على تجاوزه لسنن الأبناء عن عالم الغيب، الذي لا تدركه تجارب الحواس

* * *

وعلى ترتيب الإطلاع الإلهي القرآن الكريم سار «البيان النبوي» سنة الرسول ﷺ

فكما مثل «الوحي» مصدر المعرفة بعديد من سنن الاجتماع الإنساني ومعارف عالم الشهادة كذلك كانت السنة النبوية التي هي «البيان النبوي للوحي الإلهي» فمنها هي الأخرى نستلهم المعرفة بعديد من «سنن» هذا الاجتماع

● فاقتران العصبية والشوكة والمنعة القومية بالنسبة للرسول أي رسول اقترانها بالنجاح الذي تحرزه

(١) سورة الحج ٣٩ ٤٠
٢) سورة المؤمنون ٩٦
٣) سورة فصلت ٣٤

رسالته في مواجهة الخصوم المنكرين، هي سنة من سنن «الاجتماع الديني» تنسحب إلى سنن «الاجتماع السياسي» نتعلمها من سنة رسول الله ﷺ.

ففي التفسير النبوي والبيان الرسالي لقول الله - سبحانه وتعالى - عن لوط وقومه: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾[1] يقول الرسول ﷺ: «قد كان [لوط] يأوي إلى ركن شديد [الملائكة الذين حضروه] ولكنه [أي لوط] عنى عشيرته فما بعث الله - عز وجل - بعده نبيا إلا بعثه في ذروة قومه» قال أبو عمر: «فما بعث الله - عز وجل - نبيا بعده إلا في منعة من قومه»[2].

ودور «العصبية الهاشمية» في الحقبة المكية من الدعوة الإسلامية، دورها في الانتصار للدعوة بحمايته، حتى وكثير من أهل تلك العصبية على الشرك، مثل أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وخلفاء المؤمنين إثر المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية في «شعب بني هاشم» شاهد على هذه السنة من سنن الله في الدعوات والرسالات.

● واقتران إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي فريضة اجتماعية كفائية تعني عموم المشاركة الإيجابية من المسلم في شئون الاجتماع الإسلامي، اقتران إقامة هذه الفريضة بتقدم الاجتماع وازدهاره، واقتران إهمالها والنكوص

(1) سورة هود: ٨٠.
(2) رواه الإمام أحمد.

عنها بتدهور الاجتماع وهلاك نظامه وسيادة المظالم والفوضى فيه. سنة من سنن الله في هذا الاجتماع يحدثنا عنها البيان النبوي في حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[2]

فمقاومة الجور والظلم هي التي تحفظ على الاجتماع الإنساني المعنى الحق للحياة: «إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم فقد تودع منهم»[3]

● وهذه السنة وثيقة الصلة بين عضويتها، سنة أخرى نتعلمها من أحاديث رسول الله ﷺ التي تشير إلى قانون تعاقب العدل والجور والخير والشر في الاجتماع الإنساني، وصلة هذا التعاقب بإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتحدث الرسول ﷺ عن سنة وقانون تعاقب العدل والجور على الاجتماع الإنساني يقول: «لا يلبث الجور يعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره»[4]

(١) أي تحملونه على الحق قسرا

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد

(٣) رواه الإمام أحمد (٤) رواه الإمام أحمد

وكنا قبل مع الخير والشر فجئنا بالخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم

- فسألته حذيفة فهل بعد الشر من خير؟

قال نعم

- فهل بعد الخير من شر؟

قال نعم

- فكيف؟

قال يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس

قال قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع

قال فكيف بعد ذلك الخير الذي أعطانا الله هل يكون بعده شر؟

قال نعم

قلت فهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال نعم وفيه دخن

قلت وما دخنه؟

قال قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر

قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها

قلت يا رسول الله صفهم لنا

قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا

قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم

قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك

• وهذه السنن وتلك الفتنة سنة أخرى تتعلق بما حذر منه رسول الله ﷺ الذي يجعل يقود قود الاجتماع الإنساني قرن البغاء والجهاد والاستشهاد حتى ولو قل تعداد الأمة فيصبح يقترن الموت والذل والخسران بالبغاء والجهاد والاستشهاد حتى ولو كثرت الأعداد فرسول الله ﷺ يتحدث عن هذه السنة في الحديث الذي دار بينه وبين صحابته ومنهم حذيفة

يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها »

فقالوا يا رسول الله أمن قلة نحن يومئذ

قال أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن

فقالوا وما الوهن؟

- قال « حب الحياة، وكراهية الموت »[2]

(1) رواه أبو داود والإمام أحمد

(2) رواه أبو داود والإمام أحمد

● وإلى جانب من هذه الحقيقة تشير الأحاديث النبوية التي تتحدث عن سنة اقتران الجهاد بالعزة وارتباط النكوص عنه بالإذلال. فالركون إلى السلم لا يحميه «جهاد» سبيل إلى ضياع السلم الحقيقي من الاجتماع الإنساني: «إذا تبايعتم بالتسمية وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[1]

فالحياة المدنية تحميها من الدار الروح الجهادية والاقتران قائم بين الدين والجهاد ذروة سنامه[2] وبين عزة هذه الحياة كما أن الذل قرين «الدعة» التي لا تحميها الجهاد.

وإلى هذه السنة يشير الحديث النبوي الذي يقول فيه ﷺ: «لا يزال أهل الغرب [أي أهل الشدة والجلد] ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[3]

وذلك لأن ختم النبوة والرسالة قد جعل استمرارية هذه الأمة إلى يوم الدين الحقيقة المترتبة على خلود الإسلام حتى يوم الدين. فكانت سنة القيام الدائم بفريق من هذه الأمة على إعلاء أمر الله: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»

(١) رواه أبو داود والإمام أحمد

(٢) من حديث رسول الله ﷺ رواه معاذ بن جبل، أخرجه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

(٣، ٤) رواه مسلم

وهذه الجماعة الأمة، هي التي عصمها الله من الاجتماع والاجماع على الضلال «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»[1]

فحفظ الدين الذي وعد الله به ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[2] يقتضي دوام إقامته أي دوام أمته، وذلك لا يتأتى دون دوام الجهاد مع أعداء الإسلام والمسلمين

«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله»[3]

هكذا، ومن خلال هذه الإشارات إلى عدد من «السنن» و«القوانين» التي جاءت في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، رأيت كيف كان «كتاب الوحي» بلاغة القرآني وبيانه النبوي مصدرًا للمعرفة، في عالم الشهادة، والاجتماع الإنساني، إلى جانب كونه المصدر لمعارف الإنسان عن عالم الغيب الذي لا تستقل بإدراكه العقول، ولا تخضع معارفه للحس والتجريب.

وأخيرًا، فمن منا لا يتأمل قول الله سبحانه وتعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[4] ولا يرى ويدرك على وجه اليقين كيف جعل

(1) رواه ابن ماجه (2) سورة الحجر ٩

(3) رواه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد

(4) سورة الإسراء ٣٦

القرآن الكريم سنن العلم والمعرفة متعدية للسنن الحسية. فليس السمع، والبصر، والحواس وحدها هي سنن المعرفة وإنما تقوّد مع الحواس [كل أولئك كان عنه] عن العلم والمعرفة [مسئولا]!

تلك هي إسلامية المعرفة المنهج القرآني في المعرفة وعلى هذا النحو واجه به القرآن الكريم وبيانه النبوي المنهج الحسي في المعرفة ذلك الذي كان سائدا في دوائر المشركين والدهريين.

وعلى هذا النحو قام «كتاب الوحي» في هذا المنهج مصدرًا للمعرفة في عالم الغيب والشهادة جميعًا فراملت معارفه، وكشفت سننه عن كثير من السنن الجارية في باب «كتاب الوجود»، سيان منها ما كان خاصًا بعلوم الطبيعة التجريبية أو بظواهر وعلوم الاجتماع الإنساني.

فهو تمييز وهي إضافات تحققها إسلامية المعرفة في هذه الميادين.

(٥)
وبعد الفتوحات الإسلامية

ولم يكد ينتهي القرن الهجري الأول حتى كانت الفتوحات الإسلامية قد وصلت بحدود الدولة الإسلامية ما بين الأندلس والصين، وأصبحت كل الديانات السماوية والوضعية وكل المنتجات والبحر، وجميع المؤسسات اللاهوتية والمدارس الفكرية والفلسفية قائمة ونشطة في دولة الإسلام. فالفتح قد أقام الدولة، لكن المسلمين ظلوا أقلية عددية في رعية هذه الدولة بعدم قرون [illegible] إذ «لا إكراه في الدين»[2] وإذا كان للفتح أن يقيم الدولة، فليس له من سبيل إلى إقامة الإيمان بالدين، لأن الإيمان تصديق قلبي ينبع من اليقين، والإكراه قد يثمر نفاقا، لكنه لا يثمر إيمانا بحال من الأحوال.

وفي خضم التدافع الفكري الذي شاع وازدهر بين الإسلام وبين الديانات والنحل والفلسفات غير الإسلامية تحققت

١) انظر في الانتشار التدريجي للإسلام: هاري وهارارد [طبعة [illegible] الإسلامي] ص ٦٠٥ ترجمة إبراهيم [illegible] طبعة القاهرة [illegible] ٩٠ [illegible] حسن مونس [طبعة تاريخ الإسلام] ص ٣٣ – طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ [illegible] سيد بوماس [الدعوة إلى الإسلام] ص ٩٨، ١٢٣، ١٣٥، ١٤٩، ١٥٣ ترجمة [illegible] إبراهيم حسن [illegible] عبد المجيد عابدين [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م [illegible] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] المجلد الأول ص ٧٥، ٨٤، ١٠٥ ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة [illegible] طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

٢) سورة البقرة ٢٥٦

للحضارة الإسلامية علوم ومذاهب كانت بعض أدواتها في الحوار الفكري والتدافع المذهبي مع هذه الديانات والفلسفات تحققت العقلانية الإسلامية التي أعطت العقل في النقل وحكمت العقل بالنقل فكانت نموذجا للمعرفة الإسلامية التي أرسى القرآن قواعدها ونبتوا علم أدب البحث والمناظرة الذي جعل حتى من المساجد جنابا مساجد تدافع فكري بين علماء الإسلام وبين أحبار وعلماء الديانات والفلسفات الأخرى وكان ذلك امتدادا وتطويرا لمنهج النبوة ولدور مسجد المدينة المنورة على عهد الرسول ﷺ.

ولقد واجه المسلمون ضمن ما واجهوا خلال هذا التدافع الفكري مذاهب المعرفة غير الإسلامية التي افتقدت توازن معرفتنا الإسلامية، واجهوا:

- العقلانية اليونانية، التي لم تعرف الوحي والنقل فلم تعترف بهما فقامت معرفتها على ساق واحدة، هي البرهان العقلي حتى لقد اقتربت كثيرا من نموذج المعرفة الحسية.
- والعرفان الغنوصي الباطني الذي اعتمد الحدس والذوق فأهمل الواقع وغض من شأن العقل والنقل جميعا.
- وواجهوا المعرفة الحسية المذهب الديانات الوضعية التي كانت منتشرة في البلاد الآسيوية التي دخلت في دولة الإسلام واتصل أهلها بالإسلام والمسلمين.

وأمام هذه «المقالات» غير الإسلامية وفي موجهتها وفي خضم التدافع الفكري معها شهدت حضارتنا فن التأليف في [مقالات الإسلاميين] ورأينا ونحن نراجع عناوين مؤلفات سلفنا في تلك العلوم تلك الثروة العظيمة من المؤلفات التي تخصص في الرد على «مقالات» أهل تلك الديانات والمذاهب والنحل والفلسفات

وعلى سبيل المثال

● فالذين أرخوا لفرقة المعتزلة أبو حذيفة واصل بن عطاء [٨٠-١٣١هـ = ٦٩٩-٧٤٨م] يقولون إنه لم يبلغ ثلاثين من عمره حتى كان قد فرغ من الرد على كل المخالفين ومن عناوين الكتب التي ألفها [كتاب الأنبياء ومسائله]، وجمعها في الرد على مذهب «الصابئة» الفارسية

ومما تذكره كتب هذا العلم في [مقالات الإسلاميين] من وقائع التدافع الفكري بين «إسلامية المعرفة» التي بلورها الإسلام وبين مذهب الديانات الوضعية غير السماوية في «المعرفة الحسية» تلك الحوارات التي دارت بين علماء الإسلام وبين علماء فرقة «السُمنية» - وهي مذهب من مذاهب الديانات الوضعية الهندية ينكر هذه الوحي والنبوة والرسالة ويقولون «لا طريق للعلم سوى الحس»(١)

١) الشهرستاني كتاب «الملل والنحل» طبعة القاهرة سنة ١٨٩٢م

كان السمنية يرون أن المعرفة والعلم هما ثمرة للواقع المحسوس وحده، ويرون الحواس الخمسة وحدها بين المعرفة الحقة وما عداها فتحت [illegible] ويتعبر بهم في ذلك العصر «مجهول» أي غير معلوم، أي ليس من المعارف والعلوم التي يصدق عليها هذا الاصطلاح.

ولقد دارت بين بعض علماء «السمنية» وبين واحد من علماء المسلمين ورعيم لإحدى الفرق الإسلامية، وهو الجهم بن صفوان [١٢٨هـ - ٢٤٥م] مناظرة حول هذه القضية فصلية حسنة المعرفة، عجز فيها الجهم عن تقديم مذهب الإسلام في المعرفة للسمنيين، فلما بعث إلى واصل بن عطاء بمقالة «السمنية» نفت واصل نظره إلى مذهب الإسلام في المعرفة مصادرها ووسائل تحصيلها، فعاود الجهم مجاوزة السمنيين، الذين انتهى بهم المطاف إلى اعتناق الإسلام على يد واصل بن عطاء.

أما النص الذي يذكر هذه الواقعة [illegible] وهو الذي بقي [illegible] من قدم كتاب [illegible] عنوان [مقالات الإسلاميين] لأبي القاسم البلخي [٣١٩هـ - ٩٣١م] [illegible] هذا النص [illegible] يقول: ذكر أبو الحسن بن فرزويه أن قوما من السمنية تواجهم بن صفوان فقالوا له:

هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة؟

فقال: لا.

قالوا: فحدثنا عن معبودك الذي تعبده أشيء وجدته في هذه المشاعر؟

- قال لا

قالوا: فإذا كان المعروف لا يخرج عن ذلك وليس معدودا منها فقد دخل في المجهول

فسكت جهم

هنا في هذا الجزء من هذا النص نرى مذهب السمنية في المعرفة الحسية التي لا مصدر لها سوى الواقع المحسوس ولا سبيل إليها إلا بالحواس الخمسة، فهم يرون أن المعروف أي المعرفة «لا تخرج عن المشاعر الخمسة أي الحواس الخمسة» ولما كان الله سبحانه وتعالى لا يدركه أي لا تجده هذه المشاعر الخمسة فلا سبيل إلى معرفته لقد خرج من المعروف ودخل حسب مذهبهم في المجهول

على هذا النحو كان مذهب الديانات الوضعية في المعرفة الحسية فكيف واجهها المسلمون؟ وكيف رأت على هذه المعرفة الحسية مقالات الإسلاميين؟ لنستكمل قراءة النص فهو يقول:

إن جهم بن صفوان الذي عجز عن الرد على السمنية كان يوقع هذه المناظرة إلى واصل بن عطاء فكتب إليه واصل:

إن المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة وعن الدليل فارجع إليهم الآن وقل لهم هل تفرقون بين الحي والميت وبين العاقل والمجنون؟ فإنهم يعترفون بذلك وإنه يعرف بالدليل لا بغيره.»

هنا في هذا الجزء، من هذا النص، تقدم واصل بن عطاء لأصناف الإسلامية في نظرية المعرفة، فهو لا ينكر المعرفة الحسية، ولكنه لا يقتصر عليها، وإنما يضيف إلى ذلك المشاعر الحواس الخمسة، يضيف الدليل، والدليل ليس حاسة مادية، وبه تدرك الإنسان المعارف والعلوم غير المادية والتي لا تخضع لتجارب الحس والحواس.

فالدليل لغة هو المرشد والمنبه، واصطلاحا هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، هو الذي يقود الذهن إلى التسليم بحقيقة قضية كانت موضع شك من قبل، وقد يكون مجرد أمارة، أو ظاهرة معينة، أو شهادة شاهد، أو ضربا من الاستدلال المنطقي[1].

فالدليل ليس فقط الحاسة التي تدرك المحسوس، بل قد يكون لازم العلم بالمحسوس، والإدراك به ليس مباشرًا كحال الإدراك بالحواس، ومثاله أن يلزم من العلم بالمصنوع البديع، وهو محسوس، العلم بوجود الصانع المبدع، وهو معلوم غير محسوس، لا تدركه الحواس.

لقد أضاف واصل بن عطاء الدليل إلى الحواس الخمسة، فعبر عن الرفض الإسلامي للمعرفة الحسية التي تقف بالمعروف عند الواقع المحسوس، وبأدوات الإدراك عند الحواس الخمسة.

---

(1) انظر: الجرجاني [التعريفات] و[المعجم الفلسفي] وضع مجمع اللغة العربية القاهرة.

ونحن عندما نتأمل الأمثلة التي ضرب وحي من تحيهم من صفوة يتصدى لها، لسنة محمد - المعرفة الإسلامية، التي واجه بها الإسلاميون خصومهم على هذا المبدأ.

لقد طلب منه أن يقول لهم هل يعرفون من النبي وليس ومن العقل والمحسور والإدراك حواسهم ولا شيء يشهد بوجود الخالق إلا هذه المعرفة لأن هذه المعرفة لا تستند إلى دليل فالحديد ليست مادة فقط بل هو أيضا صوت ليس مادة وكذلك العقل والمحسوس جميعها ليست مادة محسوسة تدركها الحواس

وإذا نظر علماء البصر شيء عن الحقيقة فقرر أنه لا يوجد شيء في العالم يقرأ في ثمرته عوضه للفيلسوف بداية ولوصفه فيلسوف يعقل شيء مادة بداية وإن يفكر ويدرك ويوعي ما هو الإنكاس يجد بعيد وإذا نظر علماء البصر عن الحقيقة القرآنية التي ترى العقل فعل يعقل وليس عضوا من أعضاء جسم الإنسان كالقلب والتي إذا ما تحدثت عنه باعتباره شيئا يحوي الإنسان لأنه يرى أنه باعتباره شيئا لا يمكن أن يكون بمثابة المسكن المستقر في محتوى الإنسان من جسم وبيئة يعيش ال فيها يحوي الإنسان الذهني الذي يفكر ويعقد ويدرك أيضا يحتاج ويطمع عليه بالغذاء والأقل فهو يصف بأنه يأكل بجسمي يتغير وفي حقيقة الأمر هي يسميها الفلاسفة النفس الناطقة.

لقد صدر وصل بن عطاء في حديثه عن المعروف عند بعدي
من مثير لحيده ولموب والعقل ويحور والذي يدرب
ـ التدريس ويمس بالحواس بحسبه بقد صدر عن لحقيقه
بقدر سب وعن بسقط لاسلامي في لمعرفه بسبب لذي لا يقف
بمعروف عند بمحسوس ولا يدوت بمعرفه عند بحواس

ـ ـ ـ

وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد بدأت بترجمة العلوم اليونانية بـ علوم الطبيعة، أي علوم التمدن المدني، التي هي المشترك الإنساني العام، وذلك منذ مشروع الأمير الأموي العالم خالد بن يزيد [٩٠هـ - ٧٠٨م] فإنها قد عرفت في مجرى انفتاحها على هذه العلوم اليونانية إنسانيات من واقعيات اليونان، ومنذ القرن الثالث الهجري أصبحت الفلسفة اليونانية معروضة على العقل العربي إفياء من الكندي يعقوب بن إسحاق [٢٦٠هـ - ٨٧٣م] أصبح أرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ ق م] حاضراً في المكتبة العربية الإسلامية، فأصبح له المعلم الأول، اليوناني المعلم الثاني العربي الذي كتب ضمن ما كتب [تهذيب أرسطو] والذي قال عنه ابن حجر، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي: ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره أحد في توليفه جدو أرسطاليس. فلقد اجتهد لإثبات «التوحيد» و«النبوة» بمنهج اليونان في المعرفة، مذهب أصحاب المنطق في سبوب مراتب البرهان، فكان أن انفتح في ساحة الفكر الإسلامي باب جديد، وواسع، لمقالات غير الإسلاميين!

ولقد كان طبيعياً أن تستقر هذه المقالات غير الإسلاميين، مقالات الإسلاميين، فشهدت الحياة الفكرية الإسلامية عبر [مقالات الإسلاميين] للبلخي، الذي سبقت الإشارة إليه، كتاب الأشعري أبو الحسن [٢٦٠ - ٣٢٤هـ - ٨٧٤ - ٩٧٠م] الذي حمل ذات العنوان، وكتاب العامري أبو الحسن محمد بن يوسف

١ انظر: ابن حجر، الطبقات الأطباء والحكماء، ص ٧٣ - ٧٤، تحقيق فؤاد سيد، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

[٣٨١هـ ٩٩٢م] [الإعلام بمناقب الإسلام]، والذي يعد أول أثر فكري عثرت عليه في مقارنة الأديان الإسلام واليهودية والنصرانية والزرادشتية والوثنية والصابئة وهو الكتاب الذي أجاب فيه عن سؤال «ماذا أثبت الإسلام وأرفض غيره من الأديان؟»

ثم شهد هذا التدافع الفكري بين المنهج الإسلامي في المعرفة ومناهج المعرفة لدى الملل والنحل غير الإسلامية تلك الأعمال الفكرية البارزة في المقارنة والموازنة والتفاضلة بين الأديان [الفصل في الملل والأهواء والنحل] لابن حزم الأندلسي [٣٨٤ ٤٥٦هـ = ٩٩٤ ١٠٦٤م] و[الملل والنحل] و[مصارعة الفلاسفة] للشهرستاني محمد بن عبدالكريم [٤٧٩ ٥٤٨هـ ١٠٨٦ ١١٥٣م] وابتداء الفكري لدى إمامة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ ٥٠٥هـ ١٠٥٨ ١١١١م] لتمييز المنهج الإسلامي عن كل من المنهج اليوناني والمنهج الغنوصي الباطني [تهافت الفلاسفة] و[مقاصد الفلاسفة] و[فضائح الباطنية] و[ميزان العمل] و[القسطاس المستقيم] و[معيار العلم] و[إحياء علوم الدين] إلخ فيما جاء شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم [٦٦١ ٧٢٨هـ ١٢٦٣ ١٣٢٨م] كان جهاده على جبهة تمييز المنهج الإسلامي في المعرفة الوجه الآخر المكمل لجهاده بالسيف ضد أعداء دولة الإسلام وأمته وحضارته فكما دافع بالسيف عن أمة الإسلام أراد بالقلم عن عقيدته وعن منهج هذه العقيدة في تحصيل المعارف والعلوم فكان من عطائه على هذه

الجبهة [الجمع بين النقل والعقل] و[درء تعارض صريح المعقول مع صحيح المنقول] و[نقض المنطق] الذي حاول فيه بناء منطق إسلامي، لعقيدة التوحيد مرتبط بالعربية [illegible] الإسلام [illegible] منطق أرسطو [illegible] بلغة [illegible] ووثنيتها وكذلك [الرد على ابن عربي والصوفية] و[اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم] [illegible]

وفي سياق هذا الجهد الفكري الذي استهدف تميز منهج المعرفة الإسلامي عن منهج المعرفة الحسية شهدت المكتبة الإسلامية العديد والعديد من الكتابات والتي تبرز فيها كتاب ابن الوزير اليمني محمد بن إبراهيم [٧٧٥ - ٨٤٠هـ = ١٣٧٣ - ١٤٣٦م] [ترجيح أساليب القرآن على قوانين المبتدعة واليونان] ذلك الذي أخذ فيه منهج المعرفة القرآني منهجاً إسلامياً للمعرفة في مواجهة ومقارنة ونقد مناهج المعرفة الحسية غير الإسلامية.

وهكذا كانت المواجهة بين إسلامية المعرفة وبين مناهج المعرفة الحسية والعبوصية بدءاً بالمواجهة القرآنية لمناهج الشرك والدهرية في المعرفة والتي واصل الفكر الإسلامي مسيرتها عندما تصدى لمناهج المعرفة الحسية والعبوصية تلك التي سادت في دوائر الفكر لأهل الديانات الوضعية التي تدافعت مع مقولاتها «مقالات الإسلاميين».

لقد طرد الباب الإسلامي في المعرفة مرفوعاً رايته في هذا التدافع الفكري عبر تلك القرون!

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

فلما حدث وتخلت الحضارة الإسلامية في طور التراجع والجمود الأسباب التي هي مقام الحديث فيها[1] فقد بين فيها الخلق والإبداع والتجديد وغرق العقل الإسلامي في بحار الجمود والتقليد الصادف زمن ذلك التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوربا.

ولقد قامت النهضة الغربية الحديثة، في مناهج المعرفة ونظرياتها كرد فعل عنيف ومناقض لتلك المناهج التي سادت في تلك الحضارة إبان عصورها الوسطى والمظلمة.

كانت الكنيسة الكاثوليكية بأن هيمنتها على الحضارة الغربية سواء في ظل القيصرية البابوية التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية أو في ظل «البابوية القيصرية» عندما صبح «البابوات» قياصرة. أيضا كانت هذه الكنيسة قد جعلت «اللاهوت» هو مصدر المعرفة الوحيد فقدست المعرفة وثبتتها حمدتها عندما جعلت لها قدسية الدين وثباته وبعزلها «الواقع» عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة منعت «الشرعية» عن ثمرات معرفة هذا

(١) انظر كتابنا «نظرية في النهضة الإسلامية» تاريخ التراجع الحضاري وأسبابه ومظاهره، ص ١٨ – ١٣٨، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠ م

«الواقع» ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الجديدة و«الحرمان الديني» لمن يطلبون «المعرفة» خارج «اللاهوت».

لقد جعلت الكنيسة من «المعرفة» شأنا سماويا خالصا لا مكان فيه «للواقع» وأدوات إدراكه وتصوره. فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي، لتجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة وتجعل من التجربة الحسية المذهب التجريبية بأنواعها السبل الوحيدة لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب الديانات الوضعية والذي أشرنا إلى «السمنية» نموذجا له. بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن «الدين وضع بشري» وليس «وضعًا إلهيا» وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية «الوحي» كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية واعتبرته في أحسن الحالات واخف والطف التعبيرات ميتافيزيقا وخيالات إن جاز أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح.

لقد قال الوضعيون الغربيون إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية وحالة

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

عندما حدث ودخلت حضارتنا الإسلامية في طور التراجع والجمود، لأسباب ليس هذا هو مقام الحديث فيها، فدين فيها الحق والإبداع والتجديد، وغرق العقل الإسلامي في بحار الجمود والتقليد، نصب فأر من ذلك التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوربا.

ولقد قامت النهضة الغربية الحديثة، في مناهج المعرفة ونظرياتها، كرد فعل عنيف ومناقض لتلك المناهج التي سادت في تلك الحضارة إبان عصورها الوسطى والمظلمة.

كانت الكنيسة الكاثوليكية بأن هيمنتها على الحضارة الغربية سواء في ظل «القيصرية» «البابوية» التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية، أو في ظل «البابوية القيصرية» عندما صبح «البابوات» «قياصرة» أيضا. كانت هذه الكنيسة قد جعلت «اللاهوت» هو مصدر المعرفة الوحيد، فقدست المعرفة وثبتتها، جمدتها، عندما جعلت لها قدسية الدين وثباته، وتعزلها «الواقع» عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة منعت «السرعة» عن ثمرات معرفة هذا

١ انظر كتابنا المطروح في اليقظة الإسلامية، تاريخ التراجع الحضاري وأسبابه ومظاهره – ص ١٨ – ١٣٨، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠ م

«الواقع» ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الجديدة و«الحرمان الديني» لمن يطلبون المعرفة خارج «اللاهوت».

لقد جعلت الكنيسة من «المعرفة» شأنا سماويا خالصا لا مكان فيه «للواقع» وأدوات إدراكه وتصوره. فجاءت النهضة العربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي لتجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة ولتجعل من التجربة الحسية المذاهب التجريبية بأنواعها السبل الوحيدة لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة العربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب الديانات الوضعية والذي أشرنا إلى «تسميته» نموذجا له - بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن «الدين وضع بشري»!! وليس «وضعا إلهيا» وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية الوحي كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية واعتبرته في أحسن الحالات وأخف وأنظف التعبيرات ميتافيزيقا وخيالات إن جاز أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح!

لقد قال الوضعيون الغربيون «إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث حالة لاهوتية وحالة ميتافيزيقية وحالة

واقعية» هي تلك التي عدا «الواقع» فيها المصدر الوحيد للمعرفة الحقة - فالحق بنظرهم هو «ثمرة التجربة» وحدها[1]

وكما قال «السُّمنية» القدماء إن ما عدا «المعروف بالحواس» هو «مجهول» قال أبو المذهب الوضعي أوجست كونت [١٧٩٨-١٨٥٧م] إن ما عدا «الواقع» المحسوس هو «وهم» من الأوهام «والفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعية المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين وإن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية فالتجربة هي مصدر المعرفة الحقة الوحيد ومن ثم فإنه يجب العدول عن كل بحث في العلل والغايات وفي المبادئ الأولية فكل المعرفة مستمدة من الحس أو التجربة المباشرة، وليس من الفطرة أو المصدر العقلي أو النظري أو الاستنباطي[2] أما «مصدر الوحي» فلقد اعتبرته الوضعية إقرارًا بشريًا تلاءم مع مرحلة الطفولة التي مر بها العقل البشري قبل أن يصل إلى «الوضعية» التجريبية عبر «الميتافيزيقا»

بل لقد شابهت هذه الوضعية الغربية الحديثة، في منهجها هذا في المعرفة أسلافها القدماء، من أبناء الديانات الشرقية الوضعية مثل «السُّمنية» التي أشرنا إليها عندما سارت على ذات الدرب «حذو النعل بالنعل»[3] فقالت بـ«الدين الوضعي» فكتب أوجست كونت كتابه [تعاليم الدين الوضعي] سنة ١٨٥٢م

(١) انظر [القاموس الفلسفي] مادة «المذهب الوضعي» تأليف مراد وهبة ويوسف كرم ويوسف سلالة

(٢) المرجع السابق وانظر كذلك مادة «تجريبي» في «القاموس الفلسفي» وضع مجمع اللغة العربية القاهرة

وفي هذا «الدين الوضعي»، جعل هذا «المتنبي الوضعي الجديد!»

- العبادة للكائن الأعظم الذي رمز له بصورة الأنثى في معابد تحتوي على تماثيل نصفية لمن رآهم أحسنوا إلى الإنسانية!
- وجعل لهذا الدين الوضعي «تقويمًا وضعيًا»، سميت شهوره بأسماء موسى، وأرشميدس، وفردريك الثاني وغيرهم من أمثالهم!
- أما أعياد هذا الدين، فهي احتفالات بالعظماء، وقد جعل أوجست كونت في هؤلاء العظماء الذين تقام الأعياد احتفالًا بهم أصدقاءه، الذين ساندوه في محاولته الفاشلة لاحتلال منصب الأستاذية بمدرسة الفنون التطبيقية.
- أما روحانيو هذا الدين الوضعي، فهم العلماء المجربون بدلًا من رجال اللاهوت!»[1].

فهي إذن «الردة العنيفة»، و«رد الفعل العنيف» على الموقف الكنسي والمذهب اللاهوتي في مصادر المعرفة وسبل تحصيلها. لقد جعلت الكنيسة المعرفة شأنًا سماويًا خالصًا لا علاقة له «بالواقع». فجاءت الوضعية لتجعلها شأنًا أرضيًا «واقعيًا» خالصًا لا علاقة له بالوحي ولا بنبأ السماء!

(١) انظر [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٢٦٧ إشراف ومراجعة د. زكي نجيب محمود، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م

والأمر الذي يؤكد هذه الحقيقة هو ما ذهب إليه أبو الوضعية العربية و منشئ دينها الوضعي الجديد في تقسيمه لمراحل تطور المعارف والعلوم فقد رآها مراحل ثلاث:

١ - المرحلة اللاهوتية وهي مرحلة الحكم الديني التقليدية التي انشقت فيها السلطة بين قوة الملوك الدنيوية وقوة الكهنة الروحانية.

٢ - والمرحلة الميتافيزيقية التي حدث فيها نوع من الفوضى تعرضت فيها كل من السلطة الدنيوية والسلطة الروحانية للهجوم.

٣ - والمرحلة الوضعية التي يكون فيها رجال العلم التجريبي قوة روحية جديدة وتسود فيها المعرفة الوضعية ويصبح الدين وضعيًا أيضًا ويصبح كل العلوم حتى الإنسانية منها طبيعية، في مناهجها وفي درجة الحياد والموضوعية والتعميم لقوانينها ومقولاتها حتى لقد أطلق على علم الاجتماع الذي أسسه «الفيزيقا الاجتماعية»[1] وقال فيما قال: «إننا ما دمنا نفكر بشكل وضعي في مادة علم الفلك أو الفيزياء لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مادة السياسة أو الدين فالمنهج الوضعي الذي نجح في علوم الطبيعة يجب أن يمتد إلى كل أبعاد التفكير»[2]

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٦، ٢٦٧

٢ - محمد مزيار [منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية] ص ٢٨ رسالة ماجستير - تحت الطبع

لانه قد رأى كل أبعاد التفكير وكل ألوان المعارف وكافة العلوم صادرة عن مصدر واحد للمعرفة هو «الواقع المحسوس» فكل المعارف «تجريبية» ومن ثم يمكن التعبير عنها «بلغة الفيزيقا»(١)

هكذا بدأت وتطورت «الوضعية» الغربية – بمدارسها المختلفة وانقساماتها التى تصايرت فى الفروع والتفصص والتخصصات الوضعيه والوضعيه المنطقية والتجريبية والسلوكية والماديه بمذاهبها وفروعها إلخ إلخ

وكما حرَّم اللاهوت الكنسى الغربى «المعرفه الواقعية» لجاليليو [١٥٦٤ ١٦٤٢م] حرَّمت الوضعيه الغربية «المعرفه الإنسانية» معتبرة إياها إفرازًا بشريًا طفوليًا تجاوزه العقل البشرى عندما تجاوزت الإنسانية مرحله طفولتها

وهكذا عاد الحلل إلى مصادر المعرفة، وإلى «دونها» عندما قامت على ساق واحدة، هى «كتاب الوجود» معرضة عن ساقها الأخرى، «كتاب الوحى» عاد إليها هذا الحلل القديم من جديد!

لقد غدت الوضعية «دين الفكر الغربى» الذى استبدل «بدين الإيمان السماوى» ثم انخدع الأشكال المتعدده فى الميادين المختلفة

(١) [الموسوعه الفلسفيه المختصره] ص ٤١٧

● فهي قد جعلت «الوعي» نشاطًا مادياً، هو انعكاس للدماغ، الذي حسبته «العقل» أي أنها قد جعلت «العقل» و«التعقل» مادة، حتى لا يكون هناك شيء في الإدراك والمعرفة غير الحس والمحسوس والحواس. وقال هكسلي توماس هـ» [١٨٢٥-١٨٩٥م] «يبدو أن الوعي متصل بالباب الجسم كنتيجة ثانوية لعمل الجسم لا أكثر، وأن ليس له أي قدرة كانت على تعديل عمل الجسم، مثلما يلازم صفير البخار حركة القاطرة دونما تأثير على ألبتها». وقال أيضاً، في سياق الادعاء بهذه المادية الميكانيكية: «إن الأفكار التي أعبر عنها بالنطق، وأفكارك فيما يتعلق بها إنما هي عبارة عن تغيرات جزئية».[1]

وقد قادت هذه «المعرفة الحسية» التي أنكرت ما دون المحسوس والحواس، قادت أصحابها إلى دهرية جديدة في الاعتقاد:

فالدهريون الأول قد قالوا: ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾[2] ورأوا في الموت نهاية كل شيء، يستوي في ذلك «الجسم» و«العقل» و«النفس» و«الروح» و«الفكر» و«الإرادة». فالناس - كما قالوا - هم مثل الزرع تراه مختلفاً أوانه ثم يصير حطاماً لا عودة له، ولا بعث ولا نشور لأنه - كما قال هؤلاء المادّيون - «إذا كان التفكير والإرادة نشاطين من أنشطة الدماغ، فسيفنيان بفناء الدماغ وإذا كان

(١) ولز م. غروس، جورج ر. سدنسيو [العلم في منظوره الجديد] ص ٢٥-٢٦ ترجمة كمال جلايني، طبعة الكويت، عالم المعرفة سنة ١٩٨٩

(٢) سورة الجاثية ٢٤

كل جزء من أجزاء الإنسان مادة فلا بد من أن يكون كل جزء منه عرضة للفناء»[1].

وانطلاقا من هذه الفلسفة المادية للعلم الغربي نطق داروين (تشارلز [١٨٠٩ - ١٨٨٢م] ففسر في الداروينية نشأة الحياة تفسيرا مادياً، أو إلى هذه النتيجة قادت ابحاثه فريقا من تابعيه فهي - الحياة - قد نشأت نشأة ذاتية بواسطة التفاعلات والتغيرات الجزئية التي اعترت المواد الأولى التي تخلقت منها تماما كما تخلق الوعي ونشأ من مادة الدماغ بالتغيرات الجزئية فما قاله هكسلي في عالم الأفكار فانه داروين في عالم الأحياء.

وتطبيقا لهذه النزعة المادية في عالمي الأفكار والأحياء في الاجتماع والأموال والثروات والاقتصاد قال ماركس (كارل [١٨١٧ - ١٨٨٣م] إن تطور المجتمعات والاجتماع البشري إنما هو بتأثير المحرك الأول الواقع المادي والاقتصادي قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج فالمعرفة مادية تعكس الواقع في الفكر وهي قائمة على الممارسة تبدأ بالادراكات الحسية للأشياء[2] ولا شيء غير «الواقع» المنعكس في فكر الإنسان بواسطة مادة الدماغ أما «الله» و«الدين» وكل ما جاء به كتاب الوحي، فهو خيار وخرافة اخترعها المحرومون تسلية لأنفسهم أو الخبثاء لاعتداء تحذيراً للفقراء.

[1] [العلم في منظوره الجديد] ص ٢٥

[2] [الموسوعة الفلسفية] مادة «المعرفة» وضع لجنة من العلماء السوفيت ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

ولقد تصاعدت الماركسية بهذه «الدهرية» المنكرة «للمصدر الوحي» والمعادية للدين من مستوى الخيار الفردي إلى حيث جعلتها «مهمة ثورية» تدعو «الثوار» إلى انتصار تعميمها على الإنسانية ومجتمعاتها، بإقلاع الدين والتدين اقتلاعاً من هذه المجتمعات جاعلة من هذه «المهمة» جزءاً لا يتجزأ من «تحريرها» الإنسان من «القيود»!

لقد تنوعت مدارس الفكر العربي ومذاهبه وتعددت في إطار نهضته الحديثة العلوم والمعارف والتخصصات لكن الوضعية والنزعة المادية والمذهب الحسي في المعرفة كانت القاسم المشترك الأعظم في معظم هذه المدارس والمذاهب والمعارف والتخصصات حتى لقد انطبع فكر النهضة العربية الحديثة بهذا الطابع «الدهري الحسي» إلى حد كبير.

ولقد برز من ذلك مع تراجع حضارتنا الإسلامية ومع الموجة الاستعمارية الغربية الحديثة التي حملت إلى بلادنا الإسلامية بعد خضوعها لهيمنة هذه الموجة الاستعمارية مع النهب الاقتصادي والإلحاق الأمني والسياسي نزعتها هذه في المعرفة الحسية، والتوجه المادي فأعادت ريح المواجهات الفكرية سيرته الأولى من جديد مع تغير في مواقع الفرقاء فبعد الفتوحات الإسلامية نهض الإسلاميون بمواجهة مذهب المعرفة الحسية الواقف عند المحسوس والحواس نهضوا بمواجهته بمذهب الإسلام في المعرفة في البلاد التي فتحها المسلمون لقد قدموا «البديل الإسلامي» في المعرفة كجزء من

المشروع الحضاري الإسلامي، الذي انتصر وعد لأكثر من عشرة قرون – منارة العالمين.

واليوم، وبعد الغزو الغربي لوطن العروبة وعالم الإسلام منذ نحو قرنين من الزمان اقتحم الفكر الغربي على العقل المسلم دياره ومعاقله، محاولا أن يفرض عليه ضمن ما يريد فرضه نموذجه الحضاري الغربي المؤسس على النزعة المادية والحسية في المعرفة. الأمر الذي يجعل من شعار «إسلامية المعرفة» التعبير عن مهمة ثقافية ورسالة فكرية هي المدخل والسبيل والأداة لبلورة تطور معاصر لمشروعنا الحضاري الإسلامي الذي لابد لنا من إحيائه وتجديده لنواجه به المشروع الغربي.

فالقضية الآن أكبر من مهمة ثقافية، وأخطر من رسالة فكرية، وأعظم من «هم أكاديمي». إنها جزء من المشروع الحضاري الإسلامي الذي يمثل بالنسبة لنقطتنا الإسلامية الحديثة دليل العمل الذي ينير لهذه النقطة الطريق، والزاد الذي لا يكذب أهل هذه النقطة، وطوق النجاة لأمتنا من هاوية التبعية الفكرية والاستلاب الحضاري الذي أقام به الآخر الحضاري في عقر دارنا المؤسسات التي تبث مذاهبه في المعرفة ومناهجه في صناعة الواقع وتشكيل الحياة.

تلك هي المهمة التي تطرحها شعار «إسلامية المعرفة» على العقل المسلم، في المنعطف التاريخي، والظرف الحضاري الذي نعيش فيه.

(٧)
وقسمة فى مشروعنا الحضارى البديل

ولعل مما يزيد العقل الإسلامى ثقة فى خطر هذه القضية قضية إسلامية المعرفة - واطمئناناً إلى توافر إمكانات النجاح فيها - غير القياس على انتصار أسلافنا العظام على الوضعية القديمة والدهرية القديمة أن كثيراً من دوائر الفكر الغربى ذاته قد أخذت تفيق من خدر الاطمئنان الذى خدعتها به موجة المعرفة الحسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

لقد شهد العلم الغربى، منذ العقود الأولى للقرن العشرين، العديد من الاكتشافات العلمية، التى يعدها المؤرخون له بمثابة الثورات التى كشفت عوراب افتقار المعرفة الحسية والمادية إلى التوازن ومن ثم افتقادها لمقومات «الصدق المعرفى».

● ففى الفيزياء، مثلت أبحاث ونظريات ومكتشفات أينشتاين Einstein [١٨٧٩ - ١٩٥٥م] وبور Bohr [١٨٨٥ - ١٩٦٢م]، وهايزنبرج Heisenberg [١٩٠١ - ١٩٧٦م] ثورة كبرى.

● وفى مبحث الأعصاب، مثلت أبحاث ومكتشفات شرنجتون Sherrington [١٨٥٧ - ١٩٥٢م]، وإكلس Eccles من مواليد ١٩٠٣م، وسبرى Sperry [١٨٦٠ - ١٩٣٠م]، وبنفيلد Penfield ثورة جديدة..

● وفي علم النفس، مثلت أبحاث ومكتشفات فرانكل Frank وماسلو Maslow، ومای May ثورة أخرى

● وفي علم الكونيات كانت نظرية «الانفجار العظيم» و«المبدأ الإنساني» فتحا علميا جديدا مثل مع الثورات العلمية في الفيزياء والأعصاب وعلم النفس الأسس الجديدة لمعرفة غير حسية ومعنى أن لا نقف على «ساق الحس» وحده وبعبارة أهل الاختصاص من علماء الفيزياء يدير الجيلون معرى هذه الثورات العلمية ويؤرخون بها «فإن هذه المكتشفات لم تقلب التصور الحديث الذي كان سائدا في العلم الغربي للإنسان ولمكانته في العالم فحسب بل هي تقدم تفسيرا جديدا

لقد كان التصور السائد في دوائر العلم الغربي بأن حقيقة الموجة المادية والحسية في المعرفة هو «أن لا وجود إلا للمادة وأن الأشياء جميعا قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب وهكذا يتحتم أن يكون حرية الاختيار وهما من الأوهام مادامت المادة غير قادرة على التصرف الحر ولما كانت المادة عاجزة عن أن تخطط أو تهدف إلى أي شيء، فلا سبيل إلى العثور على حكمة وراء الأشياء الطبيعية [عالم الغيب] بل إن العقل ذاته يعتبر نتاجا ثانويا لنشاط الدماغ

ولقد وصف برتراند راسل Bertrand Russell [١٨٧٢-١٩٧٠م] هذا التصور المادي الذي ساد دوائر المعرفة والعلم الغربي فقال «لأن يكون الإنسان نتاج أسباب لا تملك العدة

اللازمة لما تحققه من غايات، ولأن يكون منشؤه ونموه ومخاوفه وصبواته ومعتقداته مجرد حصيلة ارتصاف ذات عرضي، ولأن يعجز أي حماسة مشبوبة أو بطولة، أو أي جدة في التفكير أو الشعور عن الإبقاء على حياة فرد واحد فيما وراء القبر، ولأن يكون الاندثار هو المصير المحتوم لكل عناء الأجيال، ولكل التفاني، ولكل عبقرية الأبصار المتألقة بألق الشمس في رابعة النهار، كل هذه الأمور إن لم تكن حقا غير قابلة للجدل فإنها مع ذلك تقترب من اليقين إلى حد يستحيل معه على أي فلسفة ترفضه أن يكتب لها البقاء وعلى ذلك لا يمكن بناء موطن الروح بأمان إلا في إطار هذه الحقائق وعلى أساس راسخ من القنوط المقيم.

نعم لقد سادت «دهرية القنوط المقيم» مما وراء المادة في حقبة النهضة الحديثة للمعرفة الغربية الحسية والعلم الغربي المادي الذي عمم هذه النظرة على جميع العلوم المادية منها والإنسانية.

لكن المؤرخين الجدد للعلم الغربي الذين رصدوا الثورات المعاصرة في هذا العلم، يقولون إن ذلك التصور «الدهري القانط» قد طويت صفحته بهذه الثورات العلمية المعاصرة وبمعطياتها في نظرية المعرفة وبعبارة عالم الفيزياء هنري مارجينو Henry Margenau: إن العقيدة الأساسية للمذهب المادي هي أن الحقيقة كلها تكمن في المادة وهذا رأي كان مقبولا بعض القبول في أواخر القرن الماضي [التاسع عشر] غير أن أمورا كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي.

وبعبارة عالم الفيزياء فيرنر هايزنبرج «إن الفيزياء الذرية المعاصرة قد بات بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر»

إذن فنحن أمام جديد وبإزاء تحولات في مذهب المعرفة الغربية تحولات عن النزعة المادية البحتة والحسية الصرفة

لقد قال الإمام الغزالي قديمًا «طلبت العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله» لقد بدأ جراح الأعصاب «ويلدر بنفيلد» تجاربه على الدماغ بهدف إثبات النظرة التي كانت سائدة النظرة المادية «الدماغ يفسر العقل» لكنه وصل عبر دراسة ما يربو على ألف حالة إلى إثبات عكس هذه النظرية المادية وصل إلى أن العقل غير الدماغ فالدماغ هو مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة لكنه ليس مقر العقل أو الإرادة والعقل لا الدماغ هو الذي يراقب ويوجه في آن معًا وهو الذي يتخذ القرارات وينفذها مستعينًا بمختلف آليات الدماغ»

لقد وصل بنفيلد إلى هذه الحقائق ورتب عليها معطياتها في نظرية المعرفة فكتب في كتابه [لغز العقل]

«إنه أقرب إلى المنطق أن نقول إن العقل ربما كان جوهرًا متميزًا ومختلفًا عن الجسم»!

وأمام هذا الذي قاله نتذكر تعريف الإسلاميين للعقل بكلمات الشريف الجرجاني [٧٤٠-٨١٦هـ = ١٣٤٠-١٤١٣م]

«هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان نور في القلب يعرف الحق والباطل»

ونتذكر، أيضا، تعريفه لـ «القلب» الذي يعقل ويفقه كما جاء في القرآن الكريم والذي نقول عنه أنه «لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ويسميها الحكيم النفس الناطقة وهي المدرك والعالم من الإنسان والمخاطب والمطالب والمعاتب

إنه التعريف الإسلامي الذي لم ير الإنسان مجرد مادة تقرر الفكر بالتفاعلات الجزئيات هذه المادة

ومن هذا المعنى يقترب العلم الغربي المعاصر بتجارب علمائه على الأعصاب!

بل لقد خطا ويندر بتفيلد خطوة أخرى هامة عندما قال متعجبا وهو الذي بدأ أبحاثه بهدف دعم النظرة المادية والحسية للمعرفة قال «أفتى له من أمر مثير أدل أن يكتشف أن العالم يستطيع بدوره أن يؤمن عن حق بوجود الروح وإذا كان العقل والإرادة غير ماديين، فلا شك أن هاتين الملكتين على حد تعبير «أكلس» - «لا تخضعان بالموت للتحلل الذي يطرأ على الجسم والدماغ كليهما»[1]

(١) العلم في منظوره الجديد ص ٣٩، ٤٢، ٤٣

الله اكـــــبر !

اننا بإزاء إيمان «بالروح» وإيمان بخلودها وإيمان بأن تحلل الجسم وفناء المادة ليس نهاية المطاف.

وهنا تضاهي هذه «التجربة الجديدة» ... حار بتعبير «التجريبية الإسلامية» المؤمنة فيما انتهت إليه من معطيات لكن يبقى «البديل الإسلامي» متميزا فهو لا ينطلق في المعرفة فقط من الواقع والحس والتجريب وإنما ينطلق أيضا من «كتاب الوحي» وهو ما يفتقده ويفتقر إليه هؤلاء «التجريبيون الجدد الغربيون»!

لقد اكتشف بتقييد «أمرا مثيرا» أما العالم المسلم الذي ينطلق من «كتاب الوحي» و«كتاب الكون» فإنه يكتشف بالتجربة في «كتاب الكون» الأسرار التي أودعها صاحب «الوحي» و«خالق الوجود» فهو ينطلق من الإيمان الديني ينطلق من «الشرعي» لاكتشاف «المدني» الكوني ثم يوظف ثمرات العلم «المدني» الكوني» في دعم الإيمان الديني الشرعي» ويكون بذلك أكثر خلق الله خشية لله ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١)

فالتطور الذي يحدث في العلم الغربي المعاصر ومعطياته في نظرية المعرفة هو مما يدعم ثقتنا في «البديل الإسلامي» ويزيد من إلحاح هذه القضية على العقل المسلم المتبعة علومنا

(١) سورة فاطر ٢٨

من آثار الموجة المادية للعلم الغربي الحديث. ولصناعة هذه العلوم وفق منهاج إسلامية المعرفة. وللإسهام بعد ذلك في تزكية وترشيد هذا التوجه الجديد والوليد عند الغربيين.

* * *

إن الإسلام الذي صاغ أمته عندما صيغ حضارتها بصيغة الله، بإقامته العلاقة بين «الشرعي» و«المدني» في المعارف والعلوم.

إن هذا الإسلام الذي صاغ الأمة ومنهاجها في المعرفة هذه الصناعة الإيمانية المتميزة، هو الذي صاغ [illegible] وبسبب ذلك، علماء هذه الأمة صناعة متميزة كذلك.

«الحربيون» «مؤمنون» و«روحانيون» «مدنيون» فتحت حياتنا الفكرية والعلمية من ذلك «الفصام» النكد بين «النظر» و«التجريب» بين «العمل الذهني» و«العمل اليدوي» بين «الشرعي» و«المدني».

فالدين وضع إلهي يسوق الإنسان لعبادة الله ولعمران الكون مستعيناً في ذلك كله بكتابي «الوحي» و«الوجود» ومن هنا:

● كان أبو الوليد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨م] يفزع الناس إلى فتواه في الفقه كما يفزعون إلى فتواه في الطب، فهو الطبيب المجرب والفقيه الأصولي المتكلم الحكيم، له صاحب [كتاب الكليات] في الطب و[بداية المجتهد ونهاية

المقتصد] في الفقه و[مناهج الأدلة في عقائد الملة] و[فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] - في علم الكلام والتوحيد.

● وكان ابن سيناء أبو علي الحسين بن عبد الله [٣٧٠-٤٢٨هـ ٩٨٠-١٠٣٧م] «الشيخ الرئيس» في «الشرعي والمدني» في «الإلهيات» و«الطبيعيات» في التصوف و«النبات والحيوان» و«الهيئة» فمن آثاره في الطب [القانون] وفي الحكمة والإلهيات [الشفاء] و[المعاد] و[أسرار الحكمة المشرقية] وفي التجريب والطبيعة [النبات والحيوان] و[الهيئة] و[أسباب الرعد والبرق]. إلخ

● وكان البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر [٤٣٩هـ ١٠٣٧م] وهو الذي اشتهر بتبحره المتميزة في أصول الدين المبرز في الحساب وفي الهندسة حتى لقد قالوا إنه كان يدرس في سبعة عشر فنًّا. ومن آثاره [أصول الدين] و[تفسير القرآن] و[معيار النظر] و[التكملة في الحساب] و[رسالة في الهندسة]. إلخ

● وكان الخيام أبو الفتح عمر بن إبراهيم [٥١٥هـ ١١٢١م] اللغوي الشاعر والفيلسوف المؤرخ والرياضي الفقيه والمهندس الفلكي ولقد بقيت لنا من آثاره [مقالة في الجبر والمقابلة] و[شرح ما يشكل من مصادرات إقليدس] و[الاختيار لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما] و[الرباعيات] و[الخلق والتكليف] وغيرها من الآثار الشاهد

تنوعها وتكاملها على هذا المذهب الإسلامي في تكامل مصادر المعرفة وتكامل أدواتها، ومعرفة علمائها.

● وكان الفخر الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر [٥٤٤ - ٦٠٦هـ / ١١٥٠ - ١٢١٠م] الإمام في علوم الدين والدنيا جميعًا حتى لقد قال مؤرخوه: إنه كان أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. ومن بين آثاره الكثيرة والجامعة لأقطار المعرفة وتخصصاتها نجد «مفاتيح الغيب» في تفسير القرآن الكريم، و«معالم أصول الدين»، و«لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات»، و«الخلق والبعث» في التوحيد وأصول الدين، و«محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» و«نهاية العقول» و«البيان والبرهان» في الفلسفة، و«المباحث الشرقية» في التصوف، و«السر المكتوم» في الفلك، و«النبوات» في النبوة والرسالة، و«النفس» في علم النفس، كما أبدع في الهندسة «كتاب الهندسة» و«كتاب مصادرات إقليدس» إلخ.

هكذا تجسد توازن وتكامل مصادر المعرفة في المنهج الإسلامي وتوازن تكامل أدوات وسبل تحصيلها في هذا المنهج. هكذا تجسد في العلم الإسلامي، وفي العقل الإسلامي وفي تراث علماء الإسلام. فكان الاشتغال بجميع العلوم «الشرعي» منها و«المدني» و«النظري» منها و«التجريبي» عبادة وقربة إلى الله وامتثالا لأوامره وتكليفاته. فبالعلوم الشرعية تعرف المقاصد الإلهية في العمران البشري وبالعلوم المدنية يقيم

البشر لعمران الذي استخلفهم خالقهم لإقامته في هذا الوجود وفيهما معاً وبهما جميعاً يكتشفون آيات الله سبحانه وتعالى في الأنفس والآفاق فظل العلم بهذا المنهج في المعرفة الباب المفتوح دائماً وأبداً لاكتشاف الحقيقة في عالم الشهادة ودعم قواعد الإيمان بالله وعالم الغيب وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[1].

وإذا كانت هذه هي سمات وثمرات التكامل في منهج الإسلامية المعرفة وفي المعارف والعلوم التي أثمرها هذا المنهج وفي العلماء الذين التزموه في الدراسات وتحصيل هذه المعارف والعلوم فقد كان طبيعياً أن تكون الصورة سلبية وسيئة على جبهة الحضارة التي اختل فيها ميزان هذا المنهج.

ومن منّا لا يدرك ذلك دون كثير عناء إذا هو قارن بين هذا التكامل الذي أشرنا إليه على الجبهة الإسلامية وبين واقع النهضة العلمية الغربية ذات المنهج الحسي والمادي في المعرفة.

● لقد كان التقدم العلمي في علوم الدنيا نقصاً وإنكاراً للوحي والدين حتى لقد قادت الاكتشافات العلمية هناك أصحابها إلى «تأليه الإنسان» فصاح بعضهم تلك الصيحة المنكرة المعبرة عن هذا الحس فقال لقد مات الله تعالى الله عما صاحوا به علوًّا كبيرًا.

١ سورة فصلت ٥٣

● وكان الكثير من ثمرات هذا المنهج المخبر القائم على ساق المعرفة الحسية وحدها وخاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية ثمرات معتلة ففي الوقت الذي زعموا بها حياد ودقة وموضوعية العلوم الطبيعية والتجريبية رأيت كنساخ التطور بها كما تكنسخ الصحة والعافية العلل والأمراض لقد أثمر هذا المنهج الأعوج مذاهب وفلسفات ونظريات كانت أقرب إلى الأمراض الفكرية وإلى «الفجر» الكاذب الذي سرعان ما يتوارى، حتى وإن بهر بعض الأبصار!

وأثمر ألوانا أخرى من المذاهب والفلسفات كانت تعبيرا خاصا عن أمراض أو ملابسات غربية خاصة ومع ذلك فلقد زعموا بها «العلمية» و«الموضوعية» و«الحيادية» فذهبوا يفرضونها على البشرية جمعاء؟!

ونسبت من الطابع المادي والحسي لمذاهب المعرفة في هذه النهضة الغربية الحديثة، فقد تصور الغرب هيمنته على الشعوب المستضعفة، وتدميره للبنية الاقتصادية والاجتماعية في مجتمعاتها ومسخه ونسخه وتشويهه لموروثها ومعرفتها ظن ذلك رسالة حضارية يدفع الرجل الأبيض ضريبة نشرها في العالمين

ونسبت من هذا الطابع الحسي والمادي أيضا كانت التطبيقات الغربية لثمرات عبقريته في العلم الطبيعي كانت تطبيقاتها في دمار البيئة وتلوثها والإخلال بتوازنها وكما عد قهره للأمم الأخرى رسالة حضارية فلقد اعتبر العدوان على

الطبيعة «رسالة حضارية» أخرى جعل من عبارات «قهر الطبيعة» و«السيطرة عليها» و«تسخيرها للإنسان» عناوين عليها؟

ولأن هذا المنهج الحسي والمادي، لا يعترف بغير الواقع المحسوس ولا يؤمن بغير عالم الشهادة فقد ثمر الدهرية التي لا ترى للحياة الإنسانية مقاصد غير «الوفرة المادية» التي تحقق للإنسان لذاته وشهواته، التي لا تتناهى عند حدود، وبواسطة القسوة العنيفة والصراع الذي لا يعرف القيود.

لقد ثمر هذا المنهج في المعرفة الغربية علوما ومعارف ومذاهب تحقق للإنسان «قوة المفترس» الذي يأكل في سبعة أمعاء، بينما عجزت عن تحقيق الإشباع الروحي لهذا الإنسان فاحتل توازنه عندما لبت له حاجات الجسد دون حاجات الروح حتى لقد أدى هذا الخلل إلى تهديد الجسد ذاته بالدمار لغياب دور الروح في ترشيد الإشباع المادي لجسد هذا الإنسان.

* * *

إن ما أشرت إليه من تحولات جديدة في فلسفة العلم الغربي المعاصر، تحولات عن حسية المعرفة وماديتها، هي حوافز لمزيد من ثقتنا بمنهجنا الإسلامي المتميز في المعرفة. لابد أن تدفعنا إلى مزيد من الجهد لبلورة المنهج - منهج إسلامية المعرفة - وصياغة علومنا الإنسانية وفلسفة علومنا الطبيعية وفقًا له.

وإن ما نشهده من سقوط وتراجع لكثير من مذاهب الغرب ونظرياته، التي بهرت الأبصار بعقود عديدة من الزمن، سقوطها وتراجعها، كحال الفجر الكاذب، وكشأن الأمراض التي تكتسحها الصحة والعافية، فهو حافز آخر لمزيد من الجهد الذي يجب أن يبذل في هذا الميدان. وإلا فمن ذا الذي لا يكتشف في سقوط وتراجع «الماركسية» و«الداروينية» و«الوجودية» و«الفرويدية» وكثير من مذاهب ومناهج البحث والنقد في الفنون والآداب، من ذا الذي لا يكتشف في ذلك ووراءه خللا حقيقيا وأكيدا في المنهج المادي والحسي للمعرفة التي أثمرت هذه المذاهب والنظريات؟ ويرى في هذا تأكيدا وإلحاحا على ضرورة بلورة المنهج البديل؟

لقد ضمنا بجمودنا وتقليدنا لمتخلفنا الموروث: المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة عندما وقفنا عند تراث عصر تراجعنا الحضاري، ولم نول المنهج الغربي في المعرفة الذي واجه به علماء عصر نهضتنا مذاهب المعرفة الحسية عند الأمم والنحل الأخرى، لم نوله ما هو أهلٌ له من الاهتمام.

وضمنا هذا المنهج الإسلامي مرة أخرى بتقليدنا للنموذج الغربي في نظرية المعرفة، فجعلنا الوضعية والمادية والتجريبية بمعانيها الغربية - واحتلت المكان الأرفع في علومنا الإنسانية والاجتماعية، وفي فلسفة علومنا الطبيعية.

ولقد كان هذا التقليد لمتخلفنا الموروث، والوافد غير العلمي وغير الملائم - السبب الأول في فقرنا الشديد في الإبداع

وما كان لأمة أن تبدع في علوم حضارتها المتميزة، إلا إذا هي بلورت منهاجها المتميز في المعرفة. وإذا كانت اليقظة الإسلامية المعاصرة مدعوة إلى بلورة «بديلها الحضاري» كدليل لنهضتها المنشودة؛ وذلك حتى لا تسقط في هاوية «التبعية» و«الاستلاب الحضاري» وتضل الطريق، فإن المدخل إلى هذا الإنجاز هو «إسلامية المعرفة» حتى يأتي هذا «البديل إسلاميا» حقا فقضيتنا، إن قضية «إسلامية المعرفة» هي جزء من مشروع حضاري بديل، وليست مجرد قضية ثقافية خاصة بدوائر المثقفين والمفكرين.

إنها قضية أمة تريد أن تنهض في مواجهة تحديات شرسة وقضية دين، أنعم الله علينا بأن هدانا إلى التدين به.

وقضية حضارة ضاع أسلافنا العظام علومها ومعارفها بهذا المنهج.

ولن يصلح البديل الحضاري الإسلامي المعاصر الذي نريد به مواجهة الجيل المعرفي الحديث، إلا بما صلح به البديل الحضاري الإسلامي الأول الذي واجه به أسلافنا الجيل المعرفي القديم.

إنها قضية «قديمة - جديدة» تمثل واحدة من أبرز القسمات التي تميز وتتميز بها الإسلام الدين والحضارة على غيره من النحل والفلسفات والحضارات!

إن «إسلامية المعرفة» تعني حضارة «مؤمنة» تقوم على عقلانية متدينة، يبدعها «علماء» هم أكثر الناس خشية لله»

● وإذا كانت الوضعية الغربية التي عزلت «المعرفة» عن الدين والوحي وبنت السماء، بل جعلت الدين وضعاً بشرياً، إذ كانت هذه الوضعية قد أثمرت وأثمرها نموذج فيلسوفها أوجست كونت، ذلك الذي قطع المحاضرات التي بدأ إلقاءها سنة ١٨٢٦م [الفلسفة الوضعية] وهي التي كونت «مؤلفه الرئيسي» قطعها بسبب إصابته بمرض عقلي عقبته محاولته الانتحار غرقاً في نهر السين سنة ١٨٢٧ لفرط الياس والقنوط.

والذي تعرف على «كارولين ماسان» وهي بغي، فساعدته في أثناء اختراقها للبغاء، ثم تزوجها؟ فلما انفصل عنها هام حباً بامرأة متزوجة من رجل هارب من مطاردة البوليس، هي «كلوتيلد دي فو» فكان حبه لها، كما يقول مؤرخو فكره، السبب في اتخاذ كتاباته طابعاً جديداً فقال بخضوع العقل للقلب، ودعا إلى «تعاليم الدين الوضعي»[1].

إذا كان هذا هو حال علم وعلماء المعرفة الحسية، والفصام النكد بين «الأرض والسماء» بين «الكون والوحي» بين «الدنيا والآخرة» بين المدني والشرعي.

● فإن لإسلامية المعرفة شأناً آخر، وثمرات مغايرة ونماذج من العلماء مختلفين.

(١) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٢٦٦ - ٢٦٧

لقد كان عالمنا أبو عثمان عمرو بن عبيد [٨٠ - ١٤٤هـ / ٦٩٩ - ٧٦١م] فارسًا من فرسان الثورة في سبيل الشورى والحرية والعدل، وصرحًا من صروح العقلانية الإسلامية التي واجهت مقولات الشرك والزيغ والإلحاد، وفي ذات الوقت كان الرجل الرباني الذي تضرب بتقواه الأمثال، ويشير الناس إليه إذا رأوه، قائلين «هذا خير الناس!»

إنه الثائر الذي يقول: «إن ذكر عصب الرب يمنع من الغضب!»

والفيلسوف العقلاني الذي يدعو ربه فيقول: «اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك، اللهم أغنني عن الدنيا بالقناعة، وعلى الدين بالعصمة».

وهو القائد المطاع في قومه وأنصاره، والذي يحج إلى بيت الله الحرام سيرًا على قدميه من البصرة إلى مكة أربعين مرة في أربعين عامًا يمشي على قدميه، وخلفه بعيره يحمل عليه الفقراء والضعفاء»[1].

هذه هي بضاعتنا، وتلك بضاعة الوضعيين المادّيين.

إنه نسق فكري متكامل، وبديل حضاري متميز لإعادة التوازن الذي أصابه الخلل بالانحراف الحسي والمادي، ذلك الذي أقام الوضعية المادية العرجاء.

١ انظر دراستنا عنه بكتابنا: مشهور الوزراء ص ١٦ - ١٧٥، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م.

المصـــادر

■ القرآن الكريم .

■ كتب السنة :

- [صحيح البخارى] طبعة دار الشعب القاهره
- [صحيح مسلم] طبعه القاهره سنه ١٩٥٥م
- [سنن الترمذى] طبعة القاهرة سنه ١٩٣٧م
- [سنن النسائى] طبعة القاهرة سنه ١٩٦٤م
- [سنن أبى داود] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م
- [سنن ابن ماجه] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م
- [سنن الدارمى] طبعة القاهره سنه ١٩٦٦م
- [مسند الامام احمد] طبعه القاهره سنه ١٣١٣هـ

■ الكتب المطبوعة :

دم متز [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] ترجمه : محمد عبد الهادى أبو ريده طبعه بيروت سنه ١٩٦٧م

ابن حزم [جمهرة انساب العرب] تحقيق عبد السلام هارون طبعه القاهرة سنة ١٩٥٥ م

ابن القيم [اعلام الموقعين] طبعه بيروت سنه ١٩٧٣م [بصره الحكمه فى السياسه الشرعية] طبعه القاهرة سنة ١٩٧٧م

ابن منظور [لسان العرب] طبعة دار المعارف بالقاهره

البلخى و القاضى عبدالجبار ، والحاكم الجشمى [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] تحقيق فؤاد سيد طبعه تونس سنة ١٩٧٢م

البهاوى [كشف اصطلاحات الفنون] طبعه الهند سنه ١٨٩٢م

الجرجانى ، الشريف [التعريفات] طبعه القاهرة سنة ١٩٣٨م

روبرت م. عروس جورج ن سنسبيو [العلم فى منظوره الجديد] ترجمه كمال خلايلى – طبعه الكويت سنه ١٩٨٩م

حسين مؤنس (دكتور) [أطلس تاريخ الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧م.

- روزنتال (م)، يودين (ب) [الموسوعة الفلسفية] ترجمة: سمير كرم طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

زكي نجيب محمود (دكتور) (إشراف) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

الطهطاوي (رفاعة رافع) [الأعمال الكاملة] جـ ٤ [illegible] محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م

عبد الوهاب الكيالي (دكتور) (إشراف) [الموسوعة السياسية] طبعة بيروت سنة ١٩٨٣م

مجمع اللغة العربية القاهرة [معجم ألفاظ القرآن الكريم] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م

محمد أمريان [منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية] رسالة ماجستير – تحت الطبع

محمد عمارة (دكتور) [الطريق إلى اليقظة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م، [مسلمون ثوار] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م

محمد فؤاد عبد الباقي [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب القاهرة

مراد وهبة (دكتور) يوسف مراد يوسف شلالة [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م

هاري و هارارد [أطلس التاريخ الإسلامي] ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ونسنك ي و آخرين [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة ليدن ١٩٣٦-١٩٦٩م

يونسكو [معجم العلوم الاجتماعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

الفهرس

١ – شعار جديد لمضمون قديم ٣

٢ – التعريف والضبط للمصطلحات ٧

٣ – [illegible] وتطبيقات ١٣

٤ – النموذج القرآني لإسلامية المعرفة ٣٧

٥ – وبعد الفتوحات الإسلامية ٦٢

٦ – والبديل للوضعية الغربية الحديثة ٧٣

٧ – وقسمة في مشروعنا الحضاري البديل ٨٣

المصادر ٩٩

فهرس الموضوعات ١٠١

سلسلة «فى التنوير الإسلامى»

١ـ الصحوة الإسلامية فى عيون غربية	د. محمد عمارة
٢ـ الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
٣ـ أبو حيان التوحيدى	د. محمد عمارة
٤ـ دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى	د. سيد دسوقى
٥ـ ابن رشد بين الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
٦ـ الانتماء الثقافى	د. محمد عمارة
٧ـ تنصير العالم	د. زينب عبد العزيز
٨ـ التعددية.. الرؤية الإسلامية والتحديات	د. محمد عمارة
٩ـ صراع القيم بين الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
١٠ـ د. يوسف القرضاوى المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى	د. محمد عمارة
١١ـ تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم	د. سيد دسوقى
١٢ـ عندما دخلت مصر فى دين الله	د. محمد عمارة
١٣ـ الحركات الإسلامية رؤية نقدية	د. محمد عمارة
١٤ـ المنهاج العقلى	د. محمد عمارة
١٥ـ النموذج الثقافى	د. محمد عمارة
١٦ـ منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق	د. صلاح العماوى
١٧ـ تجديد الدنيا بتجديد الدين	د. محمد عمارة
١٨ـ الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة	د. محمد عمارة
١٩ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم	د. محمد عمارة
٢٠ـ التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد	د. محمد عمارة
٢١ـ فكر حركة الاستنارة.. وتناقضاته	د. عبد الوهاب المسيرى
٢٢ـ حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجيه جارودى	د. شريف عبد العظيم
٢٣ـ إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين	د. محمد عمارة
٢٤ـ الحضارات العالمية تدافع.. أم صراع	د. محمد عمارة
٢٥ـ التنمية الاجتماعية بالغرب.. أم بالإسلام	د. عادل حسين
٢٦ـ الحملة الفرنسية فى الميزان	د. محمد عمارة
٢٧ـ الإسلام فى عيون غربية.. «دراسات سويسرية»	ترجمة / أ. ثابت عيد
٢٨ـ الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة.. أم تفتيت واختراق	د. محمد عمارة
٢٩ـ ميراث المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣٠ـ نفقة المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣١ـ الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية	د. محمد خاتمى

٣٢ـ مخاطر العولمة على الهوية الثقافية	د. محمد عمارة
٣٣ـ الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟	د. محمد عمارة
٣٤ـ صورة العرب في أمريكا	ترجمة وتعليق/ أ. ثابت عيد
٣٥ـ هل للمسلمين أمة واحدة؟	د. محمد عمارة
٣٦ـ السنة والبدعة	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٧ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٨ـ قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى	د. عبد الوهاب المسيري
٣٩ـ مركسة الإسلام	أ. منصور أبو شافعي
٤٠ـ الإسلام كما نؤمن به: ضوابط وملامح	د. يوسف القرضاوي
٤١ـ صورة الإسلام في التراث الغربي	ترجمة/ أ. ثابت عيد
٤٢ـ تحليل الواقع بمنهاج المعاهدات المؤمنة	د. محمد عمارة
٤٣ـ القدس بين اليهودية والإسلام	د. محمد عمارة
٤٤ـ مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا (شهادة أعداء)	تقديم وتعليق/ د. محمد عمارة
٤٥ـ الآثار التربوية للعبادات في الروح والأخلاق	د. صلاح الدين سلطان
٤٦ـ الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد	د. صلاح الدين سلطان
٤٧ـ السنة النبوية والمعرفة الإنسانية	د. محمد عمارة
٤٨ـ نظرات حضارية في القصص القرآني	د. سيد دسوقي
٤٩ـ الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين	د. محمد عمارة
٥٠ـ الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان	تقديم/ د. محمد سليم العوا
٥١ـ عن القرآن الكريم	الشيخ/ أمين الخولي
٥٢ـ في فقه الأقليات المسلمة	د. طه جابر علواني
٥٣ـ مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية	د. محمد عمارة
٥٤ـ مركسة التاريخ	أ. منصور أبو شافعي
٥٥ـ نقل الأعضاء في ضوء الشريعة والقانون	مستشار/ طارق البشري
٥٦ـ السنة التشريعية وغير التشريعية	محمد الطاهر بن عاشور
	الشيخ/ علي الخفيف
	د. محمد سليم العوا
	د. محمد عمارة
٥٧ـ شبهات حول الإسلام	د. محمد عمارة
٥٨ـ نحو طبٍّ نفسي إسلامي	د. وائل أبو هندي
٥٩ـ واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات	عطية فتحي الويشي
٦٠ـ بناء المفاهيم الإسلامية	د. سيف الدين عبد الفتاح
٦١ـ المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٢ـ شبهات حول القرآن الكريم	د. محمد عمارة

٦٣ـ أزمة العقل العربي	د. فؤاد زكريا
٦٤ـ في التحرير الإسلامي للمرأة	د. محمد عمارة
٦٥ـ روح الحضارة الإسلامية	د. محمد عمارة
	الشيخ/ محمد الفاضل بن عاشور
	تعليق وتقديم/ د. محمد عمارة
٦٦ـ الغرب والإسلام.. افتراءات لها تاريخ	د. محمد عمارة
٦٧ـ السماحة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٨ـ الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيًا؟	د. محمد عمارة
٦٩ـ صلة الإسلام بإصلاح المسيحية	الشيخ/ أمين الخولي
	تقديم/ الإمام الأكبر الشيخ/
	محمد مصطفى المراغي
	تمهيد/ د. محمد عمارة
٧٠ـ بين التجديد والتحديث	د. سيف الدين عبد الفتاح
	تقديم/ د. محمد عمارة
٧١ـ الوقف الإسلامي والتنمية المستقلة	د. إبراهيم البيومي غانم
	تقديم/ د. محمد عمارة
٧٢ـ الرسالة القرآنية والتفسير الحضاري للقرآن الكريم	د. سيد دسوقي حسن
٧٣ـ أزمة الفكر الإسلامي المعاصر	د. محمد عمارة
٧٤ـ إسلامية المعرفة ماذا تعني	د. محمد عمارة
٧٥ـ الإسلام وضرورة التغيير	د. محمد عمارة
٧٦ـ النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود	د. محمد عمارة
٧٧ـ مناقضة علم الفيزياء لفرضية التطور	أورخان محمد علي
٧٨ـ الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية	د. محمد عمارة

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب/ CD)
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع: www.enahda.com

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي : لأن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - أنوار تصنع للمسلم تنويرًا إسلاميًا متميزًا.

ولتقديم هذا «التنوير الإسلامي» للقراء، تصدر هذه السلسلة، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر:

- د. محمد عمارة
- د. سيف عبد الفتاح
- أ. فهمي هويدي
- د. سيد دسوقي
- د. عبدالوهاب المسيري
- د. عادل حسين
- المستشار/ طارق البشري
- د. محمد سليم العوا
- د. يوسف القرضاوي
- د. كمال الدين إمام
- د. شريف عبدالعظيم
- د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين..

إنه مشروع طموح لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر